AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT

N. MAKHOUL
BINDERY
1 8 MAY 1968
HARISSA TEL. 72

دراسات قصيرة في الأدب والتاريخ والفلسفة

892.78
Sh5985Yfa A
C.1

-٦-

أحمد شوقي

أمير الشعراء في العصر الحديث

تأليف

عمر فروخ

دكتور في الفلسفة
عضو المجمع العلمي العربي في دمشق
عضو جمعية البحوث الاسلامية في بومباي

الطبعة الثانية
بيروت
١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠

منشورات مكتبة منيمنه - بيروت - المعرض

مصادر ومراجع
لدراسة شوقي

- الشوقيات - ديوان الضعيف احمد شوقي ، الجزء الاول من ١٨٨٨ - ١٨٩٨ طبع بمطبعة الآداب والمؤيد بمصر ١٨٩٨.
- الشوقيات - اربعة اجزاء : الجزء الاول ١٩٢٥ ؟ ، الجزء الثاني ، الجزء الثالث ، الجزء الرابع، طبع بعد وفاته (بلا تاريخ)

- روايات شوقي -

رواية عذراء الهند او تمدن الفراعنة (الاسكندرية مطبعة الاهرام ١٨٩٧م)
دل وتيمان او آخر الفراعنة (عام ١٨٩٩ م)
لا دياس
رواية ورقة الآس (عام ١٩١٤ م)
مذكرات بنتاؤر
مصرع كليوباترا
مجنون ليلى
قمبيز
عنترة
علي بك الكبير[١]، او دولة المماليك
اميرة الاندلس
اسواق الذهب
دول الاسلام

---

(١) - صدرت طبعة من هذه الرواية قديماً

- السياسة الاسبوعية - (مصر) في ٣٠ ابريل (نيسان) ١٩٢٧ عدد خاص بتكريم شوقي .
- شوقي شاعر الامراء ... بقلم انطون الجميل ، مصر ، م. المعارف سنة ؟
- ذكرى الشاعرين ... جمعها ورتبها احمد عبيد ، دمشق ١٣٥١ هـ
- امير الشعراء شوقي بين العاطفة والتاريخ ، وهو خير ما قيل في امير الشعراء نظماً ونثراً في الاقطار العربية كافة ، جمع وترتيب محمد خورشيد ، الطبعة الاولى مطبعة بيت المقدس (القدس ، بلا تاريخ) .
- اثنا عشر عاماً في صحبة امير الشعراء ، تأليف احمد عبدالوهاب ابو العز ، مطبعة مصر ، مصر ١٩٣٢ م .
- حافظ وشوقي ، للدكتور طه حسين .

Geschichte der arabischen Literatur , von prof . Dr. C. Brockelmann, dritter Supplementband , Leiden 1942 SS. 21 - 48

١ ـ موجز ترجمته

اصله ومولده: اسرة «شوقي» من الاسر الطارئة على مصر: كان جد شوقي لابيه من اكراد الجزيرة، أمّ مصر في اوائل القرن التاسع عشر بوُصاة من احمد باشا الجزار والي عكاء ودخل في خدمة محمد علي باشا. واما جده لامه فتركي من الاناضول اسمه احمد حليم النجده لي [١] دخل ايضاً في خدمة محمد علي باشا ثم تزوج احدى معتوقاته وهي امرأة يونانية الاصل اسمها تمراز[٢] سبيت في حرب المورة.

ثم ان احمد حليم اصبح فيما بعد وكيلا على املاك الخديوي اسماعيل الخاصة، ولما توفي «امر الخديوي ان يُنقل مرتبه بوُمّته الى ارملته وان يحسب ذلك معاشاً لا احساناً». اما والد الشاعر فاسمه علي.

وولد «احمد» في مصر القاهرة عام ١٢٨٥هـ (١٨٦٨م) في اسرة غنية، ولكن والده كان قد اتلف ثروتها باسرافه، فنشأ «احمد» يسمع بتلك الثروة ولا يرى من آثارها الا الاحاديث عنها. على ان جدته لامه كفلته، ثم انها دخلت به ـ وعمره يومذاك ثلاث سنوات ـ على الخديوي اسماعيل، فاظهر الخديوي عليه عطفاً كبيراً.

طلبه للعلم: وفي الرابعة من عمره (١٢٨٩هـ-١٨٧٣م) دخل «احمد» «مكتب الشيخ صالح» ثم انتقل الى «المبتديان» ـ اي المدرسة الابتدائية ـ ثم الى المدرسة التجهيزية. وفي عام ١٨٨٣ ادخله ابوه مدرسة الحقوق. ولكن لما انشأت الحكومة قسماً للترجمة في مدرسة الحقوق نفسها انتقل «احمد» اليه ومكث عامين في

---

١) ص٤٢٦ ـ المصادر لدراسة حياة شوقي وادبه كثيرة، ولكن من احسنها كتاب ذكرى الشاعرين، جمعه ورتبه احمد عبيد (دمشق ١٣٥١)، وسنشير الى هذا الكتاب بذكر صفحاته فقط في المتن او في الحواشي. واما الكتب الاخرى فسنذكرها باسمها. (٢) معتوقة ابراهيم باشا ـ ديوان ٣:٤٢.

قسم الترجمة ونال شهادته النهائية عام١٨٨٦م [١]. وبعد مدة يسيرة الحقه الخديوي توفيق « بالمعية السنية » بعد ان ألحق اباه بالخاصة .

وفي عام١٨٨٧بدا للخديوي توفيق ان يرسل«احمد شوقي » [٢] الى فرنسا لمتابعة دراسة الحقوق ، مع انه لم يكن كبير الميل الى الحقوق (ص ٤٤٢،٤٤٩،٤٩٢). فالتحق شوقي بجامعة مونبليه ومكث فيها سنتين ثم انتقل الى باريس وقد زار في اثناء ذلك انكلترة زيارة قصيرة . ثم انه في اثناء سنته الدراسية الاولى في باريس مرض مرضاً شديداً فوصف له الاطباء الاستشفاء تحت سماء افريقية فاختار الجزائر. بعدئذ رجع الى فرنسة ونال شهادته في الحقوق سنة ١٨٩١،ثم عاد الى مصر .

وفي عام ١٨٩٤ – ١٨٩٥م اقيم المؤتمر الدولي العاشر للمستشرقين في مدينة جنيف (سويسرة) فكان شوقي في الذين مثلوا مصر فيه،فالقى قصيدة يعرض فيها تاريخ مصر: (الديوان:١-٢٠)

همّت الفُلكُ واحتواها الماءُ وحداها بمن تُقِلُّ الرجاءُ

وانتهز شوقي فرصة وجوده في اوروبة فزار بلجيكا ، ثم عرّج في ايابه على القسطنطينية مستشفياً من رمد ألم به. ولما رجع الى مصر (١٨٩٥)عين رئيساً للقلم الافرنجي في ديوان عباس حلمي الثاني، وقدظل في هذا المنصب حتى نشوب الحرب العامة. وقبل انصرام القرن التاسع عشر توفي علي ، والد شوقي (١٨٩٧م) .

نتيجة : كان لشوقي فلسفة سياسية ولكن لم يكن له لون سياسي ولا انتمى الى حزب سياسي قط ، بل ارتفع فوق الاحزاب كلها ولم يناصب احداً من رجالها العداء . ولم يشأ شوقي ان يتعرض للقول في السياسة ، مع انه كان يتألم لحال مصر السياسية في ذلك الحين ... حتى حملته الايام على ان « يقول » ، فانه لما خلع الخديوي عباس حلمي (١٤ كانون الاول ١٩١٤) لميله الى تركية ، ونُصب مكانه

---

(١) راجع احمد عبدالوهاب ابو العز ، اثني عشر عاماً في صحبة امير الشعراء ١١ – ٧٣.

(٢) «شوقي» صيغة تركية مثل صبري وحمدي وصبحي وزهدي ولذلك سنتركها مبنية على السكون.

السلطان حسين كامل بن اسماعيل هنأه الشعراء وفيهم حافظ ابراهيم [١] فلم يكن بد من ان يقول شوقي فقال (ديوان ١ : ٢١٤ - ٢١٨):

الملكُ فيكم آلَ اسماعيلا لا زال ملككم يُظل النيلا

وورد في القصيدة ابيات تحتمل التأويل وتحمل غمزاً فاقتضى ذلك ابعاد شوقي عن مصر (اوائل ١٩١٥)، فاختار اسبانية واقام في برشلونة لا يسمح له بتبراحها حتى اعلنت الهدنة (١١ تشرين الثاني ١٩١٨). عندئذ ساح شوقي في اسبانية العربية (الاندلس) عاماً او نحو عام (١٩١٨ - ١٩١٩) رجع بعده الى مصر .

بعد المنفى : ولقد افاد شوقي ثروة قبل ان ينفى ، فلما عاد الى وطنه رغب عن التقيد بخدمة الحكومة فانفق قسماً من وقته على الاشراف على املاكه ، ووفر الباقي على التفرغ لقول الشعر .

ولما انشئت الحياة النيابية في مصر عين شوقي عضواً في مجلس الشيوخ [٢].

واخذت شهرة شوقي تتسع ومكانته تسمو ، فلما ام لبنان للاصطياف اقام له المجمع العلمي العربي بدمشق حفلة تكريم (١٠ آب ١٩٢٥) القى فيها قصيدة من أروع قصائده (ص ٤٦٥ - ٤٦٦) :

قم ناجِ جِلّق وانشُدْ رسم من بانوا مشت على الرسم احداث وازمانُ

ثم طبقت شهرته العالم العربي واستيقن الادباء عبقريته وعظمته فاقاموا له حفلة تكريم كبرى في دار الاوبرا بالقاهرة عام ١٩٢٧ حضرتها وفود البلدان العربية - عدا الحجاز - فنهض حافظ ابراهيم والقى قصيدته الكبرى:

بلابلَ وادي النيل بالمشرق اسجعي بشعر امير الدولتين ورجّعي

---

(١) ديوان حافظ من صباه الى وفاته ص ٢٣٦ - ٢٣٧

(٢) - خورشيد ، امير الشعراء شوقي ص ٣٠

حتى قال مصرحاً بعد التلميح :

امير القوافي قد اتيتُ مبايعاً وهذي وفود الشرق قد بايعت معي

وكانت وفاة شوقي بعد منتصف ليل ١٣ — ١٤ تشرين الاول ١٩٣٢ (جمادى الآخرة ١٣٥١ هـ) .

٢ ـ عناصر شخصيته

يظهر مما ذكره الذين عرفوا شوقي ودرسوا شعره ان لشوقي شخصية مزدوجة : شخصية الرجل وشخصية الشاعر . على ان بعضهم رأى هذه الشخصية مزدوجة في شعره ايضاً .

لم يعتن شوقي بمظهره الخارجي « تراه في كثير من الشؤون يعيش عيشة المفلوكين فيركب الترام في مؤخرته ويلبس معطفاً يزيد عن قياسه ويتخذ ربطة العنق من صنف لا يكلفه عناء عقده ويعتز احياناً بثياب قديمة (ص٤٥٦) ». ثم انه لم يكن حسن التحديث ، فيما قالوا . ومع انه كان كثير المباسطة لاصدقائه في المواقف العادية عظيم التودد اليهم فانه كان ـ في المواقف الخاصة ـ يجب ان يصر على الفارق بينه وبينهم . وكان على لطفه وتسامحه ضيق الصدر بالنقد اذا وُجّه الى شعره .

وبجانب هذه الشخصية العادية في حياة شوقي الخاصة [١] نجد في شعر شوقي شخصية فخمة ضخمة « شمّاء الانف من الطراز الاول » خلقتها عناصر مختلفة :

(١) الاعتزاز بالمركز الاجتماعي — كانت اسرة شوقي من الاسر المسيطرة في مصر يرجع عهد سيطرتها الى بدء النهضة السياسية الحديثة ، فوجد شوقي دخل في

---

(١) راجع ابو العز ص ٦٤ — ٧٠ ، ٧٥ وما بعدها .

حكومة محمد علي باشا وظل اسلافه في مراكز الدولة الى ايامه .

(٢) عطف البيت المالك في مصر – لقي شوقي واسرته من قبله عطفاً خاصاً من البيت المالك في مصر زاد في رفعته في اعين الناس وكسبه شهرة وسهل امامه سبل العيش والثروة . وقد اذكى ذلك قريحته من ناحية ، ولكنه قيدها من ناحية ثانية .

(٣) عطف الخلافة – ونال شوقي خاصة عطف عبدالحميد الثاني ، في احاديث طويلة ، فاعلى ذلك مقامه وخلع على شعره رونقاً جديداً .

(٤) دراسته في اوروبة – ولما ام شوقي اوروبة اتسع افق حياته الشخصية والادبية معاً بما يستفيده الانسان من اسفاره عامة ، فانه احتك بالمذاهب الادبية التي كانت تسود يومذاك فرنسة ، فقد عاش في باريس في عصر هيجو وفرلين وموسيه ... ورأى فيرلين ... وعاصر عهد التجدد الفني في الادب بفرنسة ، وعاصر ايضاً عهد النهضة السياسية القومية بعد الحرب البروسية الفرنسية (راجع ص ٤٤٣-٤٤٤) . على ان لاستعداد شوقي الطبيعي اثراً قوياً ، فليس جميع الذين ذهبوا الى اوروبة وشهدوا ما شهد شوقي اصبحوا مثل شوقي .

(٥) قراءة الشعر القديم – وكانت دواوين الشعر العربية تنشر في مصر في ذلك الحين فكان شوقي يطالعها ويغترف من خصائصها ويعارض اشهر قصائدها .

(٦) ثروة شوقي – وكان شوقي الى ذلك الحين قد أفاد مالاً واقتنى اراضي واقبلت عليه الدنيا فرفع عن عاتقه الكدح في سبيل الحياة ووفر وقته على نظم الشعر ، فهو من هذه الناحية اشبه بعمر ابن ابي ربيعة .

(٧) نفيه الى الاندلس – وفي الاندلس احتك شخصياً بالمجد العربي الاسلامي في اوروبة ، واعتزل يفكر في حال مصر حتى خرج بتلك العبقرية الوطنية القومية فاذا له فوق هذا كله ديباجة شعرية لم نعرفها من قبل لشوقي .

(٨) ترفعه عن الاحزاب – كان شوقي متمرساً بالسياسة المحلية في مصر ولكنه لم ينتسب الى حزب ما ، بل كان مترفعاً عن الخصومات كلها ، ينظم في جميع

المناسبات السياسية والوطنية والدينية لم يخص نفسه باحد . ولكنك كنت تتميز في اقواله ثلاث دوائر متمركزة: العرب والاسلام والشرق . وكانت مصر نفسها تتمثل دائماً في احدى هذه الدوائر الثلاث .

(٩) — اتجاهه القومي — كان شوقي قبل نفيه الى الاندلس كثير العطف على الناحية التركية في السياسة والقومية . فلما عاد من الاندلس ، ولما ألغى مصطفى كمال الخلافة ظل يعطف على « الفكرة العثمانية » ولكنه جعل يعاتب الاتراك . ومن ذلك الحين برزت الناحية العربية في شعره بروزاً غطى على كل شيء .

(١٠) مقامه الادبي — عبّر شوقي بحق على شعور الشرق كله فنال على ذلك مقاماً ادبياً في حياته قل ان تمتع به اديب حي قبله ، واخـــل ذكر الشعراء المعاصرين حتى حافظ ابرهيم . اما سائر الشعراء فلا يُذكر بعضهم معه الا لان حسن حظهم قد جعلهم من معاصريه .

(١١) اعجابه بنفسه — ويبدو لنا بوضوح ان شوقي كان مُعجَباً بنفسه مُعتداً بشعره ، فلقد ذكر في ديوانه الاول [١] شعره ونوّه بفضل ذهابه الى اوروبة وحسن استعداده لقبول ما يُفيض مثل هذه الرحلة على الشخصية وعلى الشاعرية معاً قال :

« والقوم في مصر لا يَعْرِفون من الشعر الا ما كان مدحاً في مقامٍ عالٍ ولا يَرَوْنَ غـــير شاعر الخديوي صاحب المقام الاسمى في البـلاد . فما زلت أتمنى هذه المنزلة وأسمو اليها دَرَجَ الاخلاص في حب صناعتي وإتقانها بقدْر الامكان وصونها عن الابتذال حتى وُفّقْتُ بفضل الله اليهـا . ثم طلبت العلم في اوروبا فوجدتُ فيها نور السبيل من اول يوم ، وعلمت اني مسؤول عن تلك الهبة التي يؤتيها الله ولا يؤتيها سواه ، واني لا أؤدي شكرها حتى أشاطر الناس خيراتها التي لا تَحِدّ ولا تَنْفَدُ . »

اما الشواهد على ذلك من اشعار شوقي المتقدمة والمتأخرة فهي كثيرة جداً .

---

(١) الشوقيات « عام ١٨٩٨ » ص ٧

٣ ـ خصائصه الفنية

خصائص شوقي الفنية فرقان عظيمان: الخصائص التقليدية والخصائص الاصيلة. اما الخصائص التقليدية فهي التي تظهر عموماً في قصائده التي عارض بها «المشهورات» في الشعر العربي. ان شوقي لما عارض «فتح عمورية» لابي تمام و «سينية» البحتري و «كافورية» المتنبي و «البردة» للبوصيري و «قصيدة ولادة» لابن زيدون، قلد خصائص هذه القصائد عمداً وعفواً. من ذلك انه لما عارض قصيدة ابي تمام:

السيف أصدقُ إنباءً من الكتب ، في حده الحدُّ بين الجِدّ واللَعِبِ.
أتتهمُ الكَرْبةُ السوداء سادِرةً منها وكان اسْمُها فَرّاجةَ الكُرَبِ.
لقد تركتَ ، أميرَ المؤمنين ، بها للنار يوماً ذليلَ الصخر والخشب.
تدبير معتصمٍ بالله ، منتقمٍ لله ، مُرْتَقِبٍ في الله ، مرتهب.
من بعد ما أشْبوها واثقين بها ، والله مِفتاح باب المَعْقِل الأَشِب.
ولّى وقد ألجم الخَطِّيُّ منطِقَه بسَكْتَةٍ تحتها الاحشاء في صَخَب.
فبينَ أيامك اللاتي نُصِرتَ بها وبين أيامِ بدرٍ أقربُ النسب.

قال (ديوان ١ : ٤٨ – ٥٣) يذكر انتصار الاتراك على اليونان في آسية الصغرى حول ازمير (عام ١٩٢١) ويخاطب مصطفى كمال باشا:

الله اكبر كم في الفتح من عجب يا خالد الترك جدّدْ خالد العرب [١]
خاضوا العَوان رجاءً أنْ تُبَلِّغَهم عبر النجاة فكانت صخرة العطب [٢]

١ – خالد الترك : مصطفى كمال باشا . خالد العرب : خالد بن الوليد
٢ – العوان : الحرب ، عبر : الشاطىء

ما كان ماء سقاريا سوى سَقَرٍ طغت فأغرقت الإغريق في اللهب [٣]
كَذَبٌ تغشاهم من رأي ساستهم، واشأمُ الرأي ما ألقاك في الكُرَب .
جَدَّ الفِرارُ فألقى كل مُعتَقِلٍ قناتـه وتخلى كل محتقِب [٤]
يوم كبدرٍ فخيل الحق راقصة على الصعيد وخيل الله في السحب [٥]
قُوَّادُ معركة، ورُوَّاد مَهْلِكةٍ، أوتاد مملكةٍ، آساد مُحْتَرَبِ .

فاذا راجعت معارضاته تبين لك ان شوقي يطبع على غرار الشاعر الذي يعارض قصائده في الوزن والقافية وفي الالفاظ والتراكيب وفي المعاني والاغراض وفي الديباجة والنَفَس. ولقد كان يتقدم شوقي اؤلئك الشعراء في المعنى ويتأخر عنهم في اللفظ، ذلك لأنه شهد مدنية لم يشهدوها، وعرف من المعاني والآراء المستجدة مع الزمن ما لم يعرفوا .

على ان لشوقي في شعره الغنائي والروائي وفي نثره (في الترسل والرواية) خصائصَ اصيلة مطبوعة بشخصيته وجارية على سليقته ومعروفاً بها اسلوبهُ .

خصائصه المعنوية: يمثل شوقي في شعره حياة امة كاملة في جيل كامل، فشعره من اجل ذلك متعدد الاغراض – تعدد حاجات هـذه الامة في هذا الجيل، ثم ان شوقي جلا تاريخ الشرق كله وتاريخ العرب والاسلام باجمعه، فاتسعت دائرة اغراضه اتساع هذا التاريخ الحافل بالمجد والفتح المبين والمنثور بالمآسي وتقلب الدول. بعدئذ انثنى شوقي الى العصر الحديث خاصة في الشرق والغرب وعند العرب وغير العرب فتناول كثيراً من مظاهره . وحسبك ان نشير هنـــا الى اشهر اغراضه

---

٣ – سقاريا نهر في آسيا الصغرى كانت عليه المعركة . سقر : جهنم ، الاغريق : اليونان .

٤ – القناة : الرمح . معتقل قناته : حامل رمحه « مستعد للقتال » . المحتقب : الذي يحمل خلفه حاجاته « الغنى » – ان هول هذه الحرب جعل جنود اليونان واغنياءهم يفرون امام هجوم الاتراك.

٥ – بدر : المعركة الاولى التي خاضها المسلمون ضد كفار مكة « رمضان سنة ٢ هـ » راقصة : فرحة . وخيل الله في السحب – راقصة ايضاً –

الكبرى : تاريخ الاسلام ، مولد الرسول ، تاريخ مصر من فرعون الى فاروق (في امارة العهد) ، الحروب العثمانية والاحداث التركية الحديثة ، المرأة العربية والتركية ، العلم والمعلم والازهر ، العمال ، الطيران في الشرق والغرب ، الغواصة ، الانتحار ، بنك مصر ، ارسطو ، الهلال الاحمر والصليب الاحمر ، باريس ، نكبة دمشق وزلزال اليابان ، المرقص والخمر ، نابليون ، طابع البريد ، الى ما هنالك من الاغراض التي يحفل بها العصر الحديث .

لم يكن شوقي غواصاً على المعاني كأبي تمام وابن الرومي ، ولم يكن شاعراً وجدانياً خالصاً كعمر ابن ابي ربيعة وابي فراس وانما كان كما قال هو عن نفسه :

رُبَّ جارٍ تلفّتت مصرُ تُولِيـ ـهِ سؤالَ الكريم عن جيرانهْ .
بعثتني مُعزِّياً بمـآقي وطني أو مهنّئاً بلِسانه .
كان شعري الغناءَ في فَرَحِ الشر قِ وكان العَزَاءَ في أحزانه .

فهو شاعر مصورٌ « ما » حوله ومعبر عن شعور « من » حوله يتناول المعاني القريبة البارزة الشائعة يكسوها روحاً نبيلا وديباجة جميلة ، فشعر شوقي قريب من النفوس لأن اغراضه ومعانيه قريبة من النفوس . ان امجاد الشرق وفتوح العرب وسناء الاسلام ، كل هذه خلعت على شعر شوقي بهاء وجذبت اليه القلوب .

ولقد كان شوقي شاعراً عالمياً على اعتبار انه تناول في شعره اغراضاً اوسع من البيئة التي ولد فيها ، حتى انه كان اذا تناول موضوعاً مصرياً عالجه معالجة واسعة الافق بعيدة المرمى . ويظهر بجلاء ان شوقي كان اكثر حرية في تناول الموضوعات العالمية ، وحسبك ان تعلم ان « مشهورات » شوقي و « فلائده » انما هي « اندلسياته » و« شامياته » .

وهاك أشهر خصائصه المعنوية :

(١) ارستقراطيته في الشعر — شوقي ارستقراطي النزعة في شعره ، ينظر الى

الدنيا من علُ ، ولم ينحدر يوما ما بشعره الى ارضاء الدهما ، مع ان شعره كان يرضيهم من غير ان يفقهوه تماماً .

(٢) شاعر مطبوع – ولا شك في ان شوقي شاعر مطبوع كعمر وابي نواس والبحتري وابن الرومي ، اجاد في كل فن طرقه سواءٌ أطال فيه أم لم يطل .

(٣) سعة الاطلاع – ومع انه كان شاعراً مطبوعاً فانه لم يهمل الاطلاع على كل ماثر به في دهره ، فاذا اراد النظم في موضوع ما استعد لذلك بدراسة واسعة [١] .

(٤) معانيه وتوليدها – « تنسب عظمة شوقي الى اجادة المعنى اكثر من نسبتها الى اجادة اللفظ ... ويفوق شوقي شعراء زمانه ومن قبلهم ، بعد القرن الرابع (الهجري) باكثاره من المعاني المبتكرة ... او المولدة توليداً بديعاً ... [٢] ولكنه على كل حال معتدل في تجدده (جميل ٨٨) .

(٥) المبالغات – ومصطفى صادق الرافعي يتهم شوقي بالمبالغة ويستشهد على ذلك بقول شوقي في رثاء مصطفى كامل :

او كان يُحمَل في الجوانح ميّتٌ حملوك في الاسماع والاجفان

ثم يحمل عليه ، والرافعي من المتحاملين على شوقي ، ولكن المازني وزكي مبارك مثلاً تابا من التحامل عليه (ص ٣١٤) ، اما الرافعي فلم يتب . والواقع ان شوقي كان يتملح بتلك المبالغات التي تقتضيها اغراضه الدينية والسياسية والقومية .

(٦) طول النفَس – وشوقي ميّال الى إطالة القصائد في جلاء الموضوعات التاريخية خاصة ، فان قصيدته الكبرى « دول الاسلام » تشبه ان تكون ملحمة حسب تعريف بعض المتأدبين عندنا . ثم ان قصيدته « كبار الحوادث في وادي النيل (ديوان ١ : ١ – ٢٠) » تبلغ مائتين وتسعين بيتاً ، وقصيدته « صدى الحرب (ديوان ١ : ٣٠ – ٤٧) » تبلغ مائتين وسبعة وستين بيتاً ، وقصيدته

---

(١) ص ٣٢٠ ، ٤٣٥ ، شوقي لانطون الجميل ٨٤–٨٨

(٢) ص ٣٢٠ ، ٢٢٢

« نهج البردة (ديوان ١ : ٢٤٠ – ٢٥٨) » نحو مائتي بيت .

(٧) اعتداده بشعره – سلك شوقي ، فيما سلك ، مسلك ابي تمام والمتنبي وجاء شعره في تلك المرتبة السامية فكان خليقاً ان يعتد بنفسه ويتعاظم مفتخراً بشعره في الاكثر وبنفسه في الاقل :

* رواة قصائدي ، فأعجب لشعرٍ بكل محلةٍ يرويه خلقُ
* وقد سَبَقَتْ ركائبيَ القوافي مُقَلَّدةً أزِمَّتها طِرابا
تجوبُ الدهرَ نحوكَ والفيافي وتقتحم الليالي لا العُبابا .
* أحرامٌ عل (بلابله) الدَوْ حُ حلالٌ للطير من كل جنس ؟ [١]
* سبق القريضُ اليك كل مهنئ من شاعر متفرّد سبّاق .

وكان شوقي – مع خوفه من النقد احياناً – قليل « الاكتراث بتعارف المتأدبين والنقاد عندما ينظم (ص ٣١٧) » . ولم يَرُدّ شوقي على من هاجمه في الصحف او في المجالس الا بالتغاضي عنه استقلالا لشأنه ، او بالاحسان اليه ستراً على حاله .

(٨) لباقته – ومع ان شوقي كان كثير الاعتداد بنفسه باديَ الرأي في الحياة باتجاهه الديني والقومي فانه كان لبقاً في تصريف اغراضه : مدح أناساً ولم يغضب خصومهم ، ومدح الاسلام وانتقد المسلمين ، واجاد وصف المسيح وعاتب بعض المسيحيين ، وقال في الشعر الديني وفي الخمر على السواء فلم يستأ منه احد . واغلب الظن ان شوقي بلغ في حياته مرتبة أقر له بها الناس ، وانقلبت احقادهم نحوه اعجاباً واذعاناً لشاعريته .

(٩) العنصر الغربي – اجاد شوقي التركية والفرنسية واكثر من الاطلاع

---

١ – هذا البيت من قصيدة قالها شوقي وهو منفي في اسبانية ، يقول : انا ابن مصر محرم علي ان اغني على اشجارها ، بينما كل غريب (موال للاجنبي المحتل) يرتع فيها .

على ما فيهما من ادب اصيل او منقول اليهما . وفي شعر شوقي موازنات كثيرة بين الاديبين العربي والغربي من حيث المعاني والاسلوب تضيق عنها هذه الدراسة، ولكن يجب ان نشير اشارة خفيفة الى رواياته خاصة والى بعض قصائده التي تناولت مظاهر الحياة العقلية والاجتماعية في الغرب والى بعض الآراء المنبثة في سائر شعره .

خصائصه اللفظية : من الناس من يعتقد بان شوقي كان من الناحية اللغوية ضعيفاً على الرغم مما توصل اليه في اواخر ايامه من البراعة في العلوم العربية ، وهم يفضلون عليه حافظ ابراهيم . ولقد اصاب احمد الاسكندري حينما قال (ص ٣٢٠) « تنسب عظمة شوقي الى اجادة المعنى اكثر من نسبتها الى اجادة اللفظ »

(١) الفاظه – يظهر ان شوقي كان في شعره المتأخر « واقفاً على اسرار العربية ،عارفاً بفرائد الفصحى مميزاً بين معسولها ومرذولها» ميالا الى الالفاظ الحلوة السهلة الا انه قد يضطر احياناً – اذا اطال – الى استعمال الكلمات الغريبة في القافية او في غير القافية . وقد يأتي بالفاظ عامية (ص ٣٩٨ – ٤٠٠)

ومن ميزات شوقي انه يحسن سياقة الاعلام العربية والعجمية في شعره ، وقد يكثر منها فلا تنفر في اللسان او الاذن او الذوق :

* قف (بطوكيو) وطف على (يوكوهامه)

وسل القريتين كيف القيامه [١]

* واحمل (بساقك ربطة) في (لندن)

واخلف هناك (غراي) او (كمبيلا) [٢]

---

١ – طوكيو عاصمة اليابان ويوكوهاما ثغرها . اصيبت هاتان المدينتان بزلزال شديد فقال شوقي في ذلك قصيدة مطلعها هذا البيت .

٢ – ربطة الساق وسام بريطاني رفيع . Gray و Campbell من الذين تولوا الوزارة في بريطانية . يخاطب شوقي اللورد كرومر الذي كان عميداً في مصر – مفوضاً سامياً – وظلم المصريين كثيراً ، ويتمنى ان يصبح في بلاده رئيس وزارة كاللورد غراي مثلا على شرط ان يرحل عن مصر .

* لك الاصل الذي نبتت عليه فروع المجد من (كرنارفونا) ١

ومن حسن سياقة الاعلام قوله (ديوان ١ : ٢٢) في مولد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم :

خَيْرُ الأُبوَّةِ حازهم لك (آدمٌ) ، دون الانام ، وأحرزتْ (حوّاء) .
وعليه من نور النبوة رَوْنَقٌ ومن (الخليل) وهَدْيِهِ سِيماء ٢
أثنى (المسيح) عليه خَلْفَ سمائه وتهلّلتْ واهتزت (العذراء) .
يوم يتيه على الزمان صباحُه ، ومساؤه (بمحمّد) وَضاء .
والآيُ تَتْرَى والخوارقُ جَمَّةٌ (جبريل) رَوَّاح بها غدّاء ٣

ويتبع الالفاظ تعابيرُ طبَعَها شوقي بطابعِه كقوله :ديوان ٢ :٩١و١ :١٧٥

(وللحرية الحمراء) باب بكل يدٍ مضرجة يدق
قم في (فم الدنيا وحيّ الازهرا) ٤ . . . . . .

(٢) – يقول محمد كرد علي (ص ٤٢٨ و ٤٣٣) : « لم يخرج شوقي على اساليب العرب وقوالبهم في شعره ... وما كان يعجز عن إلباس كل معنى اللباس الذي يحاول ان يكسوه به » . والذي نلاحظه ان شوقي كان على العموم ضعيف التركيب في مطلع حياته ، ولكنه اخذ فيما بعد « يحكك » شعره ويتكلف صياغته حتى جعله شعراً جميلا عذباً ذا ديباجة رائعة ،واخرجه في التركيب الاعرابي المتين :

مرحباً بالربيع في رَيْعانهِ وبأنواره وطيب زمانه ٥

---

١ – كرنارفون : رجل انكليزي اشرف على اكتشاف مدافن فرعون توتعنخامون الغنية بآثارها
٢ – الخليل : ابراهيم الخليل من الانبياء الى بني اسرائيل .
« ٣ ، ٤ ، ٥ » الديوان

رَفَّتِ الارضُ في مواكب آذا ... رَ وشبَّ الزمانُ في مَهرجانه .

حَسَنٌ في أوانه كل شيء ؛ ... وجمال القريض بعد اوانه .

(٣) أوجه البلاغة — نبغ شوقي في عصر كانت المحسّنات اللفظية أعظمَ عدة للاديب والشاعر فأخذ منها بقدْر ولكنه مال الى « المعاني » . ثم إنه اخذ « بالصناعة المعنوية » فاجاد الوصف والتصوير في قوالب قديمة : « وانزل كما نزل الطل الرياحينا (ديوان ٢ : ١٢٩)، فانها من قول وضاح اليمن : « فاسقط علينا كسقوط الندى » ؛ او في قوالب جديدة كوصفه للطلاب الصغار في المدرسة (ديوان ٢ : ١٨٢ — ١٨٣) :

لهـم جرسٌ مُطرِبٌ في السَرا ... ح ، وليس اذا جدَّ بالمطرب [١]

تَوارت بـه ساعة للزما ... ن على الناس دائرة العقرب [٢]

تشول بابرتهـا للشبا ... ب وتَقذِفُ بالسُّمِّ في الشُيَّب [٣]

وتلك الأواعي [٤] بأنمانهم ... حقائبُ فيها الغـدُ المختبي

ففيها الذي إن يُقِمْ لا يُعَدّ ... من الناس او يَمضِ لا يُحسَبُ [٥]

وفيها اللواء وفيهـا المَنا ... رُ وفيها التبَيع وفيها النبي [٦]

على ان مصطفى صادق الرافعي ينسبه الى الضعف البياني والى انه لما أغرق (في المعاني) أحال شعره الى صناعة هي شر من الصناعة اللفظية (راجع ص ٤٨٨ — ٤٩٢) وما اقل ما يقدح مثل هذا في مثل شوقي ، فان الرافعي منشئ آلي

---

١ — يفرحون بالجرس حينا يعلن بدء الفرصة ولا يفرحون به اذا اعلن الدخول الى الصفوف « للدرس » .

٢ — دوران عقارب الساعة علامة على مرور الزمان ونقصان اعمار الناس .

٣ — تشول : ترفع . يوري (بتشديد الراء) هنا بين عقرب الساعة وبين الحشرة السامة « العقرب » . ان العقرب اذا ارادت ان تلسع تشول ابرتها « حمتها » التي في طرف ذنبها — يقصد عقرب الساعة يهدد الشباب بالشيخوخة وينهي اعمار الشيوخ .

٤ — الاواعي : الحقائب التي يضع التلاميذ فيها كتبهم .

٥ — من الطلاب من اذا عاش طويلا لم يكن له نفع ، ومن اذا مات لا يحس احد بموته .

٦ — فيها القائد العظيم والعالم الشهير والامعة الذي لا رأي له بل يتبع غيره والنبي الهادي لامته .

يحسن رصف الكلمات والتعابير في فوضى موسيقية !

(٤) موافقة شعره للغناء - ان الرقة والعذوبة والعاطفة الشائعة في شعر شوقي جعلته كثير الموافقة للغناء، ولقد تساوى في ذلك اكثر شعره . فان اشعاره التي غنيت فعلاً : « ليلى ، مناد دعا ليلى فخف له ... » (مجنون ليلى) ، و « انا انطونيو وانطونيو انا » (مصرع كليوباترا) ، ثم هنالك الاغاني التي اخذت من قصائد شوقي نحو: « خدعوها بقولهم حسناء » او « يا جارة الوادي » . وهنالك مقطعات شوقي في الغزل وقد غني في اكثرها: « ردت الروح على المضنى معك.. علموه كيف يجفو فجفا ... »

وفي اغاني شوقي عاطفة شائعة في الانسانية كلها فهي من اجل ذلك قريبة من كل قلب .

المآخذ على شوقي : استدرك النقاد على شوقي اشياء كثيرة كما استدركوا مثلها واكثر منها على من جاء قبله ، وكما سيستدركون مثلها واكثر منها على من سيجيء بعده . ولكن ليس من الانصاف ان نقف منها موقف مصطفى صادق الرافعي : موقف عداء حادّ وعنادٍ على غير سواء السبيل. ان اول نظرة الى ديوان شوقي تدل على ان الشاعر كان في ايامه الاولى كثير السقطات، ولكن الانصاف يقضي ان نقول مع احمد الاسكندري (ص ٣٢٢) : « ولعل « لشوقي » من العيوب الفنية والاخطاء النحوية واللغوية ما يستنفد عشرات الصفحات ... و (لكنه) مكرمة من مكارم الشرق وحسنة من حسنات الادب العربي » .

ان في شعر شوقي تكراراً وضعفاً في التركيب كقوله: (ديوان ٢ : ٢٠٢):

لا تقولوا شاعر النيل غوى (من يغالط نفسه لا يعتبر
موقف التاريخ من فوق الهوى ومقام الموت من فوق الهذر
ليس من مات بخاف عنكمُ او قليلِ الفعل فيكم والاثر).

٤ ـ فنون شوقي

كان شوقي ـ كأبي تمام ـ حريصاً على آثاره كلها لم يُضع منها شيئاً ولم يُسقط من اشعاره بيتاً ، ولكن بعضها ضاع اتفاقاً كالقسم المتعلق بالمديح من قصيدة : « خدعوها بقولهم حسناء » . ولكن يظهر ان بعض الناس رغبوا في ألا يُنشَر جزء صغير من شعر شوقي ، ولعله كان قد وافق على ذلك ايضاً قبيل موته . وأحسب ان بعض ما أغفل نشره انما هو في الهجاء ، ثم بعض الغزل والمجون . ويبدو ايضاً ان هنالك شعراً يتناول اشخاصاً واحوالا اقتضت اللياقة والمصلحة العامة اغفاله الى حين . وشعر شوقي اعظم كثيراً من نثره ، وان كان له في النثر اشياء مستجادة .

شعره :

جرى شوقي في شعره على اساليب المتقدمين وأولج اغراضه في ابوابهم : في المديح والرثاء والوصف والتحليل والنسيب والغزل وفي الدينيات ، ولكن الدارسين أطبقوا على انه لم يقل في الهجاء والمجون والتزهيد في الدنيا شيئاً (ص ٣١٩ ـ ٣٣١ والجميل ٢٦ ، ٨٢) ولعله قال شيئاً من ذلك ولكن لم يبلغ اليهم ما قاله ، او لعلهم قصدوا ان شوقي لم ينشر شيئاً في الهجاء والمجون . على اننا لا ندرس شعر شوقي على اساس ابوابه في المديح والرثاء والغزل كما ندرس مثلاً شعر جرير والبحتري ، فشوقي وافق المتقدمين في اغراضهم ولكن خالفهم في تخريج تلك الاغراض . من ذلك انه (١) افتخر بشعره و (٢) مدح السلطان عبدالحميد وهنأه ومدح الخديوي توفيقاً و (٣) رثى كثيرين ومنهم آله : جدته ووالدته وابوه ثم اكثر

١ ـ راجع الشوقيات ٤ : و.

الادباء كاسماعيل صبري وقاسم امين والمنفلوطي وحافظ ابراهيم، ثم رجال النهضات القومية كالسلطان حسين ومصطفى كامل وسعد زغلول وفوزي الغزي او غيرهم من الذين تركوا اثراً ما في الحياة العربية كالمغني سيد درويش والشيخ سلامه حجازي.

وكذلك (٤) نسب وتغزل كثيراً في مقطعات (ديوان ٢ : ١٣٩ - ١٨٠) اكثرها مُصرّع مما يدل على انها نظمت مقدمات لقصائد لم تتم او انها نظمت معارضات تامة . وقد نظم بعض هذه في مقطعات تامة لتكون اغاني . ان الرقة والمقدرة تظهران على غزل شوقي ونسيبه ولكن العاطفة الصحيحة « عليها رقيب » من بلاط الخديوي ومن البيئة الاجتماعية . على ان بعض شعره المتأخر :

شيّعتُ أحلامي بقلبٍ باكٍ ولمتُ من طُرُقِ الملاح شباكي
ورجعتُ أدراج الشباب ووردهُ أمشي مكانهما على الاشواكِ
لم تَبْقَ منا ، يا فؤاد ، بقيةٌ لُفتوة او فضلة لعراكِ
كنا اذا صفقت نستبق الهوى ونشُدُّ شدّ العُصبة الفُتّاكِ .

يدل على انه « بلغ ما بلغ امرؤ بشبابه » ولكنه لم يكشف عن ذلك في شعره الاول . والمتواتر ان شوقي كان في هذا الباب جواداً مُجلّياً .

*

ونحن ندرس الآن شعر شوقي على اساس « الصور الكبرى » التي جعلها شوقي غاية في شعره ، وجعل « ابواب الشعر » من مديح ورثاء ومن وصف وغزل سبيلاً اليها وديباجة لها . ثم ان شوقي شاعر « اجتماعي » لا شاعر « فردي » فيجب ان نتطلب في شعره صورة المجتمع - كما ارادها هو - لا ان نحاول جلاء شخصيته هو .

١ — الصورة الدينية

يهمنا هنا « صورة الدين » في شعر شوقي ، وهي صورة مزدوجة : أحد وجهيها

معارضة للمتقدمين كنهج البُرْدة والهمزية النبوية ، فانهما معارضتان للبردة والهمزية للبوصيري . وقد اراد شوقي ان يجريَ في عِنان البوصيري في الوزن والرويّ والغرض ، ولكن بعقلية عصرية مثقفه ، ثم يتجاوز غرض البوصيري في « الرسول صلى الله عليه وسلم » الى الاسلام والمسلمين الذين اهتدوا بهديه . اما الهمزية خاصة فخالف شوقي البوصيري في وزنها فنقل بحرها من الخفيف الى الكامل (١ : ٢١ وما بعدها) :

وُلِدَ الهدى فالكائنات ضياءُ ... وفمُ الزمان تبسّمٌ وثناءُ

يا خيرَ من جاء الوجود ، تحيةً ... من مُرسَلين الى الهدى بك جاءوا

هم ادركوا عِزَّ النبوة ، وانتهت ... فيها إليك العزة القعساءُ

أثنى (المسيح) عليك خلفَ سمائه ... وتهلّلتْ واهتزت (العذراءُ)

الخيل تأبى غيرَ احمدَ حامياً ، ... وبها إذا ذُكر اسمهُ خُيلاءُ

شيخ الفوارس يعلمون مكانه ... إن هيّجت آسادَها الهيجاءُ

ساقي الجريح ومُطعِمُ الأسرى ومن ... أمِنَتْ سنابكَ خيلِهِ الأشلاءُ

إن الشجاعة في الرجال غلاظةٌ ... ما لم تزِنها رأفةٌ وسخاءُ

والحرب من شرف الشعوب فان بَغَوا ... فالمجدُ مما يدّعون بَراءُ

اما الوجه الثاني من الصورة الدينية فهي التي رسمها شوقي في شعره حراً طليقاً . ان شوقي يعتز بالاسلام ايماناً واعتقاداً ويجلو نواحي عظمته التاريخية والسياسية والفقهية باوسع المعاني : « كل المروءة ، في الاسلام ، والحسب (ديوان ١ : ٤٨) » . فالقرآن الكريم والرسول والخلافة والخلفاء الاولون والتابعون لهم ، كلٌ هؤلاء

كانوا موضع فخر في شعر شوقي (ديوان ١:١٥-١٦) :

تلك آيُ الفرقان أرسلها الا ... ـه ضياءً يهدي به من يشاء .
نَسَخَتْ سُنَّةَ النبيين والرُسْـ ... ـل كما يَنْسَخُ الضياءُ الضياءَ .
وحماها غُرٌّ كِرامٌ أشِدَّا ... ءُ على الخصم بينهم رُحماءُ .
أُمَّةٌ ينتمي البيان اليها ... وتؤول العلوم والعلماء
أيرى العُجْم من بني الظل والما ... ءِ عجيباً أن تُنجِبَ البيداءُ
وتثير الخيامُ آسادَ هيجا ... ءَ تراها آسادَها الهيجاءُ ؟
ما أنافت على السواعد حتى الا ... رض طُرّاً في أسرها والفضاءِ .
تَشهد الصين والبحار وبغدا ... دُ ومصرٌ والغرب والحمراءِ .

وذكر شوقي الاديان الاخرى ذكراً مختلفا : اما المجوسية فاشار اليها اشارة طائرة واما اليهودية فاكثر الاشارة اليها . اما النصرانية فوقف عليها وقوفاً طويلا (ديوان ١:١٢-١٣، ٧١، ٢١٢-٢١٣، ٢٢٤، ٢٨٧-٢٩٥، ٣١٠، ٣٤٠، ٣٥٠ الخ) ولكن حسبك قطعة تعرف منها موقفيه كليهما ، قال في عام ١٩١٢ يستعرض دخول البلغار الى ادرنة ويشير الى ما ارتكبوه من الفظائع باسم الدين . والدين في كل صوره براء منها (ديوان ١:٢٩٠- ٢٩١) :

عيسى سبيلُك رحمة ومحبة ... في العالمين وعصمة وسلامُ :
ما كنتَ سفاكَ الدماء ولا أمرَ ... ءٍ هان الضِعافُ عليه والايتام .
يا حاملَ الآلام عن هذا الورى ... كثرت عليه بأسمك الآلام [١]

---

١ - في هذا البيت اشارة الى احدى عقائد النصارى في المسيح عيسى بن مريم ، وهي ان المسيح جاء الى هذا العالم ومات ليحمل الخطايا عن اتباعه . وشوقي يذكر ذلك هنا للغرض البلاغي وهو المقابلة بين العقيدة والواقع في البلقان .

انت الذي جعل العباد جميعهم رَحِمًا وبأسمك تُقطعُ الارحام.
انت القيامة في ولاية يوسفٍ واليوم بأسمك مرتين تُقام [١]
كم هاجه صِيدُ الملوك وهاجهم وتكافأ الفرسان والاعلام .
البغي في دين الجميع دنيَّةٌ، والسلم عهد والقتال ذِمام [٢]
واليومَ يَهتِفُ بالصليب عصائبٌ هم للآله وروحه ظُلّام [٣]
خلطوا صليبك والخناجر والمدي كلٌ أداةُ للأذي وحِمام.
اوما تراهم ذبّحوا جيرانهم بين البيوت كأنهم اغنام [٤]
كم مُرضِعٍ في حِجر نعمته غدا وله على حَدِ السيوف فطام [٤]
وصبيَّة هُتكت خميلةُ طُهرِها وتناثرت عن نَوْره الأكمام [٥]
وأخي ثمانين أستبيح وقارُه، لم يُغْنِ عنه الضَعْف والاعوام [٦]
وجَريحِ حربٍ ظامئٍ وأدوه لم يَعطِفْهم جُرْحٌ دمٍ وأوام [٧]
ومهاجرين تنكرت اوطانهم ضلوا السبيل من الذهول وهاموا

---

١ - في الديوان ، الصحيفة ٢٩٠ ، الحاشية ٨ : يوسف هو السلطان يوسف صلاح الدين الايوبي قامت في ايامه قيامة الصليبيين فحاربهم ونصره الله عليهم .

٢ - الذمام : العهد والكفالة ، اي ان للقتال قواعد تراعى ويعمل بها .

٣ - روح الاله : يقصد المسيح .

٤ - وله على حد السيوف فطام : قتل ولم يبق بحاجة الى رضاع .

٥ - هتك : مزق . الخميلة : الشجر الملتف . النور : الزهر الابيض . الاكمام : الاوراق الخضر التي تغلف البرعم قبل ان يتفتح . - والكناية في البيت ظاهرة .

٦ - الاعوام : الشيخوخة .

٧ - وأدوه : دفنوه حياً . الاوام : العطش .

السيف إنْ ركبوا الفرار سبيلهم والنِطع إنْ طلبوا القَرار مُقام [١]
يتلفتون مُوَدِعينَ ديارَهم ، واللحظ ماءُ والديار ضرام [٢]

٣ - الصورة القومية الوطنية

الاسلام يقضي بان «حب الوطن من الايمان» وحب شوقي لوطنه مصر وللبلدان الاسلامية والعربية باد في قصائده مشهور. والغالب في فلسفة شوقي القومية اتساع الافق وبعد النظر (ديوان ١: ٢٠٠، ٢: ٩٠، ١٢٥، ٢٤٣، ٣: ٣٤)

* بيني وبينك مِلّةٌ وكِتابُها ، والشَّرقُ يُنميني كما يُنميكِ [٣]
* ويجمعنا ، إذا اختلفت بلادٌ ، بَيانٌ غيرُ مختلف ونطقُ .
* ونحن في الشرق والفصحى بنو رَحِم
ونحن في الجرح والآلام اخوان .
* قد قضى الله ان يُوَلِّفنا الجر حُ وان نلتقي على أشجانه [٤]
كلما أنَّ بالعراق جريح لمس الشَّرقُ جَنبَه في عُمانه [٥]

---

١ - النطع : بساط من لبد «بكسر الباء وهو الصوف المضغوط» يوضع تحت المحكوم بالاعدام اذا اريد قتله بالسيف حتى يمتص الدماء فلا تلوث الارض . - يقول : نصيبهم القتل اذا هاجروا او اذا بقوا في ديارهم .

٢ - اللحظ ماء : يبكون . الديار ضرام ، تشتعل .

٣ - هذا البيت من قصيدة قالها لما نقل الاتراك عاصمتهم من استانبول الى انقره ، يخاطب انقرة. ملة ، الاسلام . كتابها : القرآن الكريم . ينمي ، يرفع ويعزو ، اي انني انتمي الى الشرق وافتخر بذلك .

٤ - نلتقي على اشجانه : نتساوى في ما يثيره من الحزن.

٥ - عمان، مقاطعة في الطرف الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة العرب .

نحن في الفكر بالديار سواءٌ كلنا مُشفِقٌ على أوطانه .
* وما الشَّرقُ إلا أسرة اوجماعة تَلَمُّ بنيها عند كل مصاب .

اما اقواله في «مصر» خاصة فتدور حول العاطفة التي تربط الانسان الى الارض التي نشأ بها وترعرع : انه يرى جمالها الطبيعي ويشعر بحبها العذب ويكبر مقامها ومستقبلها (ديوان ٢ : ٥٥، ١٢٨ و١ : ٢٨) :

* وطني لو شُغِلتُ بالخُلد عنه نازعتني إليه في الخلد نفسي .
شهد الله لم يغِبْ عن جفوني شخصهُ ساعةً ولم يخلُ حسي .
*لكنَّ مصر وإن أغضت على مِقَةٍ عين من الخلد بالكافور تسقينا [١]
على جوانبها رفَّت تمائمنا وحول حافاتها قامت رواقينا [٢]
ملاعبٌ مَرِحَتْ فيها مآربُنا ، واربُعٌ أنست فيها أمانينا
* ان الذي قَسمَ البلادَ حباكمو بلداً كأوطان النجوم مجيدا
قَدْ كانَ - والدنيا لحود كلها - للعبقرية والفنون مهودا

ولكنه كان يأسى لحالها ويكثر لوم ابنائها (٢ : ٩٢ - ٩٣) :

وطني، أسفتُ عليك في عيد الملا وبكيتُ من وَجدٍ ومِنْ إشفاق
لا عيدَ لي حتى أراكَ بأمَّةٍ شمّاء راوية مِنَ الاخلاق

---

١ - اغضت على مقة : اغضت عن مقة : تجاهلت ما بيننا من المودة . عين : نبع . الخلد : الجنة . الكافور : نبت طيب الرائحة . راجع القرآن الكريم في سورة الدهر : ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً . عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً (٧٦ : ٥) .

٢ - التميمة حرز يعلق للاطفال خاصة لدفع الاذى عنهم . رفت : برقت تلألات - لما كنا فيه كانت تمائمنا جديدة ، اي كنا صغاراً . الحافة : الجانب ، الرافية : التي ترقي الاطفال اي تداويهم - كان اهلنا في وطننا يعنون بنا - ونحن الان مبعدون ! -.

ذهبَ الكِرام الجامعون لأمرهم ... وبَقيتَ في خَلَفٍ بِغَير خَلاق [١]

أيظل بعضُهمُ لبعض خاذلاً ... ويُقال: شَعْبٌ في الحضارة راق

واذا اراد الله إشقاء القُري [٢] ... جعل الهُداةَ بها دُعاةَ شِقاق

وقد يشتد شوقي في اللوم والتأنيب والتعنيف (راجع ديوان ١: ٢٠٩-٢١٣). فشوقي يعد في شعراء القومية العربية ثالثاً بعد ابي تمام والمتنبي. واكثر قصائده مناسبات مختلفة لبث أرائه القومية. وشوقي عربي القومية باوسع حدود هذه القومية. حتى انه لا يرى في الحدود السياسية فاصلاً بين مصر والعراق وعمان والشام: ان اللغة الفصحى والشعور ووحدة التاريخ هي مقاييس القومية العربية عند شوقي.

٣ ـ الصورة السياسية والحربية

ويصور شوقي السياسة الخارجة عن نطاق ابناء الوطن الواحد فيتناول المعارك بانواعها والمؤتمرات السياسية. وشوقي هنا يجيد الوصف اكثر من ابي تمام والمتنبي لاستخدامه الوان الحضارة الحديثة من حيث الخيال، ولكنه يقصّر عنهما من حيث العظمه والخبرة، قال يصف هزيمة اليونان على سهل طرناو (ديوان ١: ٤٠-٤١):

ونادي مُنادٍ للهزيمة في الملا ... وأنّ مُنادي التركِ يدنو ويقرُبُ

فأعرض عن قُوّادِهِ الجُندُ شارداً ... وعلّمَهُ قُوّادُه كَيْفَ يَهْرُبُ [٣]

وطار الأهالي نافرين إلى الفلا ... مِئين وآلافاً تَهيمُ وتَسْرِبُ [٤]

---

١ — الخلاق: النصيب من الخير، راجع القرآن الكريم في سورة البقرة: فمن الناس من يقول: ربنا آتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق — ٢: ٢٠٠، راجع ١٠٢ —، ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا، اولئك لا خلاق لهم في الاخرة — ٣، ٧٧، الخ..الخ..—

٢ — القرى: المدن — البلاد

٣ — هرب قواده اولا فقلدهم الجند في الهرب.

٤ — سرب، هام على وجهه.

نَجَوا بالنفوس الذاهلات وما نجوا ... بغير يد صِفر واخرى تُقَلَّبُ [١]

يسير على أشلاء والده الفتى ... وينسى هناك المُرضعَ الأُمَّ والأَب

تكاد خطاهم تَسبِقُ البرقَ سُرعةً ... وتَذهَبُ بالأبصارِ أيانَ تَذهَب

ولما تطورت اساليب القتال مع الحضارة الحديثة قال (١٩٢٦م) يصف ضرب الافرنسيين لدمشق واعتداءهم على السكان الآمنين :

إذا رُمنَ السَّلامة من سبيل ... أتَتْ من دونه للموت طرق

بِلَيْـل للقَـذائفِ والمنايا ... وراء سمائه خَطفٌ وَصَعق [٢]

إذا عَصَفَ الحَديدُ أحمرٌ أفقٌ ... على جَنَباتِه وأسودٌ أفق [٣]

وانتصر الاتراك على اليونانيين في آسية الصغرى (١٩٢١م) فقال شوقي يصف الهدنة ومؤتمر الصلح بعدها (ديوان ١ : ٤٨-٤٩). وكان يمثل الاتراك في ذلك المؤتمر عصمت باشا ، رئيس الجمهورية التركية السابق. وكان في عصمت صمم ، ولذلك كان يسمع ما يوافق دولته ، ولكن اذا دار البحث على شيء يضر بتركيـــة تصامم وانتظر نهاية البحث ثم سأل عما تكلم فيه المؤتمرون :

الله اكبر ، كم في الفتح من عجب ... يا خالد الترك جدد خالد العرب [٤]

صلح عزيز على حربٍ مظفرة ... فالسَّيف في غِمده والحق في النُصُب [٥]

سُئلتَ سلماً على نصر فجُدتَ به ... ولو سُئلت بغير النصر لم تُجِبِ [٦]

---

١ - يد صفر ، فارغة ، كناية عن الفقر . ويد تقلب كناية عن الحيرة .

٢ - الخطف ، اشتداد الخفقان حتى انه ليذهب بالبصر حيناً . الصعق ، الصوت الذي يخر الانسان منه مغشياً عليه .

٣ - عصف الحديد كناية عن انطلاق المدافع . احمر افق من النار واسود افق من الدخان .

٤ - خالد الترك ، مصطفى كمال . خالد العرب ، خالد بن الوليد .

٥ - عزيز ، قوي . على حرب ، بعد حرب - النصب - بسكون الصاد أو فتحها - العلامة العالية المنصوبة على جانب الطريق مثلا ، انتصار الحق مشهور .

٦ - قبلت بالسلم لانكم منصورون .

مشيئة قبلتها الخيل عاتبةً ... وأذعن السيف مطويا على غضب [١]

منحتهم هدنة من سيفك التمست ... فهب لهم هدنة من رأيك الضرب [٢]

أتاهم منك في لوزان داهية ... جاءت به الحرب من حيّاتها الرقب [٣]

أصم يسمع كيد الكائدين له ... ولا يضيق بجهد المخنق الصخب [٤]

لم تفترق شهوات القوم في أرب ... إلا قضى وطراً من ذلك الارب .

٤ ـ صورة المرأة والتربية

اما الغزل فقد مر الكلام عليه موجزاً .

عاصر شوقي الدعوة الى تحرير المرأة فانعكس من ذلك شيء في شعره ولكنه كان معتدلا في الدفاع عنها يرغب لها ما كان يتمتع به النساء في صدر الاسلام وفي زهو الدولة العباسية ، ونراه يخشى الحضارة الحديثة (ديوان ١: ١٠٢-١٠٣):

اذكر لها اليابان لا ... أمم الهوى المتهتكات

ماذا لقيت من الحضا ... رة ، يا أخي الترهات؟

لم تلق غير الرق من ... عسر على الشرقي عات [٥]

---

١ – رضي السيف بالسلم مرغماً .

٢ – في الديوان (١ ، ٤٨ ، الحاشية ٦) ، الضرب (بفتح الضاد) ، القاطع . وفي القاموس الضرب ، (بفتح الضاد وسكون الراء) ، الماضي ، الذي ينفذ . والوزن تقتضي تحويك الراء فتحاً او كسراً .

٣ – لوزان بلدة في سويسرة عقد فيها مؤتمر (١٩٢٤ م) بشأن البلاد التي انفصلت بعد الحرب العالمية الاولى عن الامبراطورية العثمانية . الداهية ، عظيم العقل ، يقصد عصمت باشا . الرقب «بضمتين» جمع رقيب : حية خبيثة .

٤ – اصم ولكنه يعرف اسرار اعدائه (بعقله) ، ولا يهتم بالذين يصرخون ويضجون لانه لا يسمعهم .

٥ – عات : شديد ظالم .

خذ بالكتاب [١] وبالحديـ ـث وسيرة السَّلَف الثقات
وارجع الى سنن الخليـ ـقة واتبع نُظُمَ الحياة
هذا رسولُ الله لم ينقُص حقوقَ المؤمنات :
العلم كان شريعة لنسائه المتفقهات
رُضن التجارةَ والسيا سةَ والأمور الأُخريات
كانت سُكينة [٢] تملأ الدنيا وتهزأ بالرُواة
رَوَتِ الحديث وفسَّرت آيَ الكتاب البيِّنات [٣]
وحضارة الاسلام تنـ ـطِقُ عن مكان المسلمات
بغدادُ دار العالمـا ت ومنزل المتأدبات
ودِمَشقُ تحت أُميَّةٍ أُمُّ الجواري النابغات [٤]
ورياضُ أندلس تميـ ـنَ الهاتفات الشاعرات [٥]

وقد قال شوقي شيئاً في السفور والحجاب (ديوان ١ : ٢١٩ — ٢٢٣) واجاد في نظمه ولكن لم يصرح جهاراً بما يريد . ان شوقي لم يشأ ان يكون صريحاً في رأيه في ما يتعلق بالسفور والحجاب ، لأن ذلك يكسبه عداوة انصار المرأة او خصومها ، ولذلك فضل ان يؤرخ هذه الحركة من غير ان يدعو اليها او يقاومها. ولكنه كان يقول ان الاسلام قد اعطى المرأة حرية صحيحة واحلها محلا لائقاً بها . وهو على كل حال يجب ان يكون معتدلا في منح المرأة هذه الحرية .

١ — الكتاب ، القرآن الكريم .
٢ — سكينة بنت الحسين بن علي بن ابي طالب كانت برزة تعقد مجالس العلم والادب للنساء والرجال.
٣ — آي جمع آية . الكتاب ، القرآن الكريم . البينات ، الواضحات . وقد اصبحت هذه الصفة «بينات» نعتاً خاصاً بآيات القرآن ، وتعني الواضحات المقصد الصائبات .
٤ — أمية ، بنو امية . الجارية ، المرأة الشابة . وكانت الجواري تعلم الغناء والادب والفقه احياناً.
٥ — تمين ، اخرجن . الهاتفات ، المغنيات ، المجيدات في الشعر والغناء

ولما رثى شوقي قاسم امين زعيم تحرير المرأة (ت ١٩٠٩ م) لم يزد في تصريحه، قال (٣ : ٨٥) :

ماذا رأيت من الحجاب وعسره ... فدعوتنا لترفق ويسار !
رأي بدا لكَ لم تجده مخالفاً ... ما في الكتاب وسُنّة المُختار [١]
أودِدتَ لو صارت نساء النيل ما ... كانت نساء قضاعة ونزار [٢]
يجمعن في سِلم الحياة وحربها ... بأسَ الرجال وخشية الأبكار
إن الحجاب سماحة ويسارة ... لولا وحوش في الرجال ضواري
جهلوا حقيقته وحكمة حُكمه ... فتجاوزوه الى أذىً وضرار

التربية

ويتبع « المرأة » في الاجتماع « التربية » ، فشوقي حريص على تعليم الناشئة (ديوان ١ : ٦١) لان تعليم الناشئة هو الامل الوحيد في الدفاع عن البلاد وفي بلوغها مبلغ الامم الراقية :

فربَّ صغير قومٍ عَلّموه ... سما وحمى المُسَوَّمة العِرابا [٣]
وكان لقومه نفعاً وفخراً ... ولو تركوه كان أذىً وعابا [٤]
فعلِّم ما استطعت، لعل جيلاً ... سيأتي يُحدِثُ العَجَبَ العُجابا ! [٥]

---

١ – سنة المختار ، اعمال محمد رسول الله في ايام حياته .
٢ – قضاعة ونزار من قبائل العرب ، يقصد العرب الاقدمين .
٣ – المسومة العرابا ، « الخيل » المعدة للقتال ، الاصيلة العربية (العراب ، الصريحة الاصل) .
٤ – العاب : المذمة ، النقص ، العيب ، الوصمة .
٥ – العجب العجابا ، الامر العظيم ، التقدم .

وللعلم عند شوقي مكانة عظمى : « نشر العلم مثل الجهاد ، ديوان ١ : ١٣٣ »، ولكنه يرى نظام المدرسة فاسداً كنظام البيت . قال في طالب انتحر (ديوان ١ : ١٤٦ – ١٤٨) لأنه رسب في الامتحان – وفي الابيات التالية تحليل لمشكلة البيت والمدرسة ومشكلة التعليم من اساسها ، وخصوصاً في الشرق :

لا أرى إلا نِظاماً فاسداً ... فَكَّكَ العلم وأودى بالأُسَر
من ضحاياه ، وما اكثرَها ، ... ذلك الكارهُ في غَضِّ العُمُر [١]
ما رأى في العيش شيئاً سرَّه ، ... وأخفُّ العيش ما ساء وسرا
نزل العيش فلم ينزلْ سوى ... شُعْبَةَ [٢] الهمِّ وَبَيْداء الفِكَر
ونهارٍ ليسَ فيه غِبطَةٌ ، ... وليال ليس فيهن سَمَر
ودروس لم يُذلِّلْ قُطْفَها ... عالمٌ ان نَطَقَ الدرس سَحَر [٣]
ولقد تنهكه نهكَ الضَنى ... ضَرَّةٌ منظرها سُقْم وضَرّ [٤]
ويُلاقي نَصَباً مما انطوى ... في بني العَلّات من ضغن وشر [٥]
إخوة ما جمعتهم رَحِمٌ ، ... بعضُهم يمشون للبعض الخمر [٦]
لم يرفرفْ مَلَكُ الحب على ... أبَوَيْهم او يُبارِكْ في الثمر
عالجوا الحكمة واستشفوا بها ، ... وانشدوا ما ضلَّ منها في السِيَر [٧]

١ – كره الحياة وهو لا يزال شاباً .
٢ – الشعبة ، ناحية .
٣ – ذلل قطفها ، جعل جنيها (قطف ثمرها) سهلا . قال القرآن الكريم في سورة المرسلات يصف الجنة : « ... ودانية عليهم ظلالها وذللت (بالبناء للمجهول) قطوفها تذليلا(٧٦ : ١٤) » .
٤ – نهكه ، أتعبه ، جعله نحلا . الضنى ، المرض الخفي . الضرة (بفتح الضاد) ، كل زوجة ثانية للرجل . الضر (بفتح الضاد او ضمها) ، ضد النفع .
٥ – النصب ، التعب ، الاذى . اولاد العلات من كان ابوهم واحداً وامهاتهم مختلفات .
٦ – يمشي له الخمر (بفتح الخاء والميم) يكيد له .
٧ – نشد : طلب . السير جمع سيرة : حياة الابطال والعظماء .

واقرأوا آدابَ من قبلَكُمُ ، ربما علَّم حيّاً مَنْ غَبَرْ [١]
واغنَموا ما سخَّر الله لكم من جمال في المعاني والصُوَر
واطلبوا العلم لذات العلم لا لشهاداتٍ وآرابٍ أُخَرْ! [٢]

ورأيُ شوقي في المعلم خاصة (ديوان ١ : ٢٢٤-٢٢٨) مشهور ، حتى انه اصبح مثلاً سائراً في فم الطلاب وفم الاساتذة انفسهم :

قُمْ للمعلِّم وَفِّهِ التبجيلا كاد المعلمُ أنْ يكون رسولا
أعلمتَ أشرفَ او أجلَّ من الذي يَبني ويُنشئ أنفساً وعقولا ؟
سُبْحانك اللهمَّ خيرَ معلمٍ علَّمتَ بالقلم القرون الاولى [٣]
أخرجت هذا العقلَ من ظُلماتِه وهَدَيْتَه النورَ المبين سبيلا
وطبعْتَه بيد المعلم تارةً صدِئَ الحديد وتارة مصقولا [٤]
أرسلتَ بالتوراة موسى مُرشداً وابن البتول فعلَّم الإنجيلا [٥]
وفجَرْتَ ينبوع البيان محمداً فسقى الحديثَ وناول التنزيلا [٦]

على ان شوقي يرى ان « التربية على الاخلاق » خير من « التربية بالعلم » : ان جميع التقدم الروحي والمادي ايضاً يرجع الى حسن الخُلق ، وكل تقهقر روحي او

---

١ - غبر ، ذهب ، مضى ، مات .
٢ - آراب جمع ارب واربة (بكسر الهمزة فيهما) ، الحاجة ، الغاية .
٣ - في هذا البيت اقتباس من قوله تعالى : « ... اقرأ وربك الاكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » [سورة القلم] .
٤ - يشبه العقل (الانسان) بالسيف تشبيهاً ضمنياً ، فهو يكون مرة حدثاً (غبياً) ومرة يكون مصقولا (لامعاً قاطعاً ، ذكياً) .
٥ - البتول : مريم بنت عمران . ابن البتول : عيسى بن مريم .
٦ - الحديث : احاديث محمد رسول الله . التنزيل : الوحي (القران الكريم) .

مادي سببه انحراف الناس عن مقتضى الخلق الكريم. حتى الدول تثبت بالاخلاق الحميدة وتزول اذا « اصيبوا في اخلاقهم » . وشوقي يردد ذلك في اماكن مختلفة من ديوانه نذكر منها (ديوان ١: ٣٢، ٤٩، ٢٢٧) .

* كذا الناسُ ، بالاخلاق يَبْقَى صلاحهم
ويذهبُ عنهم أمرُهم حين تذهب .

* وما السلاحُ لقوم كل أهبتهم [١] حتى يكونوا من الاخلاق في أهب
ولا المصائبُ إذ يُرمى الرجال بها بقاتلات إذا الأخلاقُ لم تُصَب .

* وليس بعامرٍ بُنْيان قوم إذا اخلاقهم كانت خَرابا !

* بنيتَ لهم من الاخلاق رُكْنًا ، فخانوا الركن فانهدمَ اضطرابا .

* وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقِمْ عليهم مأتمًا وعَويلا .

وله في ذلك المثل السائر :

وإنما الأُممُ الأخلاقُ ما بَقِيَتْ فإنْ هُمُ ذهبتْ أخلاقُهم ذَهَبوا !

الشعر التهذيبي

حاول شوقي الاصلاح من طريق «الشعر التهذيبي» الذي طرقه في مطلع حياته ونظم فيه خرافات مشهورة على ألسنة الحيوان من ايزوب اليوناني او من كليلة ودمنة او من مطارح خياله هو . ولقد قصد من ذلك عظة الحكام وتهذيب العامة مع شيء من الهزل . وكذلك رمى ان ينظم شعراً للاطفال ، قال[٢] : « وجربت

١ — الاهبة : العدة ، السلاح . الاهب جمع اهاب : الجلد ، الثياب .
٢ — الشوقيات ، ١٨٩٨م ، ص٩ .

خاطري في نظم الحكايات على اسلوب (لافونتين) الشهير ... وكنت أتمنى لو وفقني الله لأجعل لاطفال المصريين مثل ما جعل الشعراء للاطفال في البلاد المتمدنة منظومات قريبة المتناول يأخذون الحكمة والادب من خلالها على قدر عقولهم».

ولا ريب في ان اكثر « مغزى هذه الحكايات » سياسي يرمي الى انتقاد الحكام على طريقة حكمهم ، وبعضها الآخر يرمي الى اغراض اجتماعية . اما اغراض شوقي في هذه الحكايات فهي كثيرة .

من هذه الحكايات حكاية « ملك الغربان وندور الخادم » وهي تمثل الرجل القوي المغرور بنفسه لا يريد ان يسمع نصيحة من هو اقل منه قوة . ثم انه يقع في مأزق فيحتاج الى مساعدة الذين نصحوه بالامس فاذا هم عاجزون عن مساعدته بعد ان فاتت الفرصة ، او شامتون به .

ملك الغربان وندور الخادم

كان لِلغربانِ في العصر مَليكْ ، وله في النخلة الكبرى أريكْ [١] ،
فيه كرسيٌّ وخِدْرٌ ومُهودْ لِصِغار المَلِك [٢] أصحاب العُهودْ
جاءه يوماً نَدُورُ الخادمُ ، وهو في القصر الامين الحازمُ .
قال : « يا فرع الملوك الصالحينْ ، أنتَ ما زِلتَ تُحِبُّ الناصحينْ ،
سُوسةٌ كانت على القصر تدورْ جازت القصرَ ودَبّتْ في الجُذورْ .

---

١ — الاريك في الاصل جمع أريكة : قبة او بيت فيه سرير (عرش) او منصة ، او شيء يتكأ عليه . وشوقي يستعملها هنا كأنها اسم مفرد .

٢ — في الشوقيات « ٤ : ١٠٧ » الملك بضم الميم والصواب فتحها . بمعنى الملك « بكسر اللام » اي السلطان . الكرسي : العرش . الخدر . بيت او غرفة محجوبة عن انظار الناس تكون عادة للنساء ، المهد : سرير ينام فيه الصغار .

فأبعثِ الغِربانَ في إهلاكها ... قبلَ أنْ نَهلِكَ في أشراكها [١]

❀

ضحكَ السُّلطانُ من هذا المقالْ ... ثم أدنى خادمَ الخيرِ وقال :
« أنا ربُّ الشَّوكةِ الضافي الجَناحْ ، ... أنا ذو المِنقارِ غلَّابُ الرياحْ [٢]
أنا لا أنظرُ في هذي الامورْ ، ... أنا لا أُبصِرُ تحتي ، يا نَدورْ » .

❀

ثم لما كان عامٌ بعد عامْ ... قام بين الريح والنخلِ خِصامْ .
وإذا النخلة أقوى جِذعُها [٣] ... فبدا للريحِ سَهلا قَمْعُها .
فهوتْ للأرضِ كالتلِّ الكبيرْ ، ... وهوى الإيوانُ وانقضَّ السَّريرْ [٤] .
فدهى السلطانَ ذا الخطبُ المَهولْ [٥] ... ودعا خادمَهُ الغالي يقول :
« يا ندورَ الخيرِ ، أسعِفْ بالصياحْ ... ما ترى ما فعلتْ فينا الرياحْ ! »
قال : « يا مولاي لا تسألْ ندورْ ، ... أنا لا أنظرُ في هذي الامورْ » .

ومن الحكايات المشهورة حكاية « الاسد ووزيره الحمار » وهي تمثل الحاكم الغبي الذي يسيّر امور دولته تسييراً عرفيا ساذجاً او غبياً ثم يستغرب اذا رأى دولته تنهار .

---

١ – الاشراك جمع شرك « بفتح الشين والراء » : الفخ – قبل ان نهلك نحن .
٢ – الشوكة : القوة . الضافي : الواسع – كناية عن بسطة الملك واتساعه .
٣ – أقوى جذعها : ضعف ، تخاخل .
٤ – الايوان : الصفة « بضم الصاد وتشديد الفاء » العظيمة ، مكان مرتفع ، بناء واسع ، قصر . السرير : العرش . انقض : وقع .
٥ – دهى : اصاب بغتة ، اصابه بداهية « مصيبة » . الخطب ، الحادث العظيم ، المصيبة . المهول : المخيف .

الاسد ووزيره الحمار

لِلَّيثِ مُلكُ القِفَـار ... وما تَضُمُّ الصحاري .
سعتْ إليـه الرعايا ... يومًا بكل انكسار .
قالت : « تعيشُ وتَبقى ، ... يا دامِيَ الأَظفـار ،
مات الوزيرُ فَمَن ذا ... يسوسُ أمر الضواري ؟ »
قال : « الحمارُ وزيري ، ... قضى بذاكَ اختياري ! »
فاستضحكتْ ثم قالتْ : ... « ماذا رأى في الحمار ؟ »
وخلَّفتْـه وطارتْ [١] ... بُمضحِك الأَخبـار .
حتَّى إذا الشهرُ ولَّى ... كليـلةٍ أو نهـار [٢]
لم يَشعُرِ اللَّيثُ إلا ... ومُلكُه في دمـار [٣]
القِردُ عند يمينٍ ، ... والكلبُ عند اليَسار ؛
والقِطُّ بين يديهِ ... يلهو بِعَظْمَـة فار .
فقال : « مَنْ في جُدودي ... مِثلي عـديمُ الوقار ؟
أين اقتداري وبطشي ... وهَيْبَتي واعتباري ؟
فجاءه القِردُ سراً ، ... وقَال ، بعدَ اعتذار :
« يا عاليَ الجاهِ فينا ، ... كُنْ عالِيَ الأَنظَـار [٤]

---

١ – طارت ، اسرعت .
٢ – اي سريعاً .
٣ – دمار ، خراب ، انهيار .
٤ – عالي الافكار ، بعيد النظر .

رأيُ الرعيَّـة فيكمْ مِنْ رأيِكمْ في الحمار !»

اما حكاية « الديك والثعلب » فالمغزى فيها ليس سياسيا بحتـاً ، وهو يدور حول الماكر الذي يريد ان يخدع الناس ولكن يظل في الناس نفر لا تنطـلي عليهم حيلته .

الديك والثعلب

بَرَزَ الثعلبُ يوماً في شعار الواعظينا .
فَمَشَى في الارض يهدي ويَسُبُّ الماكرينا .
ويقول : « الحمدُ لله هِ إلَهِ العالمينا .
يا عِبَادَ الله ، توبوا ، فَهُوَ كهفُ التائبينا .
وازهدوا في الطير إنَّ الـ ـعَيْشَ عَيْشُ الزاهدينا .
واطلبُوا الديكَ يُؤذِنْ لصلاة الصُّبْحِ فينا » .

❀

فأتى الديكَ رسولٌ من إمام الناسكينا ،
عَرَضَ الأمر عليه وهو يرجو أنْ يلينا .
فأجاب الديكُ : «عُذراً ، يا أضلَّ المُهتدينا ،
بَلِّغِ الثَّعْلَبَ عني عن جُدودي الصالحينا
عن ذوي التيجانِ مِمَّنْ دَخَلَ البطنَ اللعينا

أنهم قالوا ، وخيرُ القـ ـ قولِ قولُ العارفينا :
مُخطِئٌ من ظنَّ يوماً أنَّ للثعلبِ دينا ! »

ومن الحكايات التي لا تنطوي على مغزىً سياسي ، حكاية « اليمامة والصياد » وهي تمثل الغبي الثرثار الذي يمكنه ان ينجو من الاخطار المحيطة به بسكوته ، ولكنه يتكلم فيلفت اليه ابصار اعدائه ومنافسيه .

اليمامة والصياد

يَمامةٌ كانت باعلى الشجرهْ آمِنَةً في عُشِّها مُستَتِرَهْ .[1]
فأقبلَ الصيَّادُ ذاتَ يومٍ وحامَ حولَ الرَّوضِ أيَّ حَومِ[2]
فلَمْ يَجِدْ للطير فيه ظِلَّا ، وَهَمَّ بالرحيل حين مَلَّا .
فبرزتْ من عُشِّها الحُمقاءْ والحُمقُ داءٌ ما له دواءْ .
تقولُ جهلًا بالذي سيحدثُ : « يا أيُّها الانسانُ عَمَّ تَبحَثُ ؟ »
فالتفتَ الصيَّادُ صوبَ الصوتِ ونَحوَهُ سَدَّدَ سَهمَ الموتِ .
فَسَقَطَتْ من عَرشِها المكينِ ووقعت في قَبضَةِ السِّكِّينِ
تقولُ قولَ عارفٍ مُحَقِّقِ :
« مَلَكتُ نفسي لو ملكت منطقي ! »

---

١ – اليمامة ، الحمامة الوحشية «البرية» .

٢ – حام فلان على الامر ، رامه . وشوقي يستعمل الحوم هنا بمعنى الدوران للبحث . اي حوم، حوماً كثيراً .

والقصيدة التالية ليست من « حكايات الحيوان » بل هي من حكايات الاطفال[١] والمقصود بهذه القصيدة وامثالها ان تكون درساً تهذيبياً للاطفال يعلقونها (يحفظونها غيباً) . ولكن يؤخذ على شوقي هنا ان قصيدته ليست للاطفال لا في تركيبها اللغوي والبياني ولا في المغزى ، اذ هي في الحقيقة تشجع على التمرد ، وان كانت القصيدة من الناحية الفنية رائعة .

جدتي

لي جَدَّةٌ تَرْأَفُ بي أَحْنَى عليَّ مِنْ أبي .
وكل شيء سَرَّني تَذْهَبُ فيه مذهبي .
إنْ غضِبَ الأهلُ عليَّ كُلُّهم لا تغضب .
مشى أبي يوماً إليَّ مِشيةَ المؤدِّب .
غضْبانَ ، قد هَدَّد بالضرب وإن لم يضْرِب .
فلم أجِدْ لي منه غير جَدَّتي من مَهْرَب
فَجَعَلَتْني خَلْفَها أنجو بها وأختبي ،
وهيَ تقولُ لابي بلَهْجَةِ المؤنب :
« وَيْحٌ له ويح لهـ ـذا الولد المُعَذَّب !
ألَمْ تكن تَصْنَعَ ما يصنعُ إذ كنت صبي ؟ »

وجميع « حكايات الحيوان » تستهوي الكبار كما تستهوي الصغار ولكنها مضرة بالصغار خاصة ، ولذلك سببان اساسيان :

---

١ — الشوقيات ٤ ، ١٦١ ، راجع ١٥٩ .

أ ـ ان الطفل ، والكبير احياناً ، يؤخذ بظاهر القصة لا بما فيها من مغزى . وقد يكون المعنى نفسه بعيد الغور .

ب ـ والطفل مفطور على التقليد ، وهو يحب القوي لا الضعيف ، ولذلك يميل الى الظالم لان الظالم قوي . والمقصود بهذه الحكايات خلاف ذلك .

فحكايات الحيوان وحكايات الاطفال عند شوقي يجب ان ننظر اليها على انها مقطوعات شعرية رائعة . اما عملها التهذيبي فقليل ، اللهم الا اذا قصدنا ان يقرأها « الكبار » . وحينئذ تكون « نقداً مورّى » لبعض أحوالنا السياسية والاجتماعية وحينئذ ايضاً تكون « تعبيراً ادبياً » فقط .

٥ ـ الصورة المطلقة

تتناول الصورة المطلقة وصف الطبيعة او ما يتعلق بالطبيعة ، وتتناول التحليل النفسي ايضاً . يرى الرافعي (ص ٤٩٢ – ٤٩٣) ان شوقي « صاحب الآيات البديعة في الوصف ، وهذه الناحية هي اقوى نواحيه » .

والوصف ناحية بارزة في شعر شوقي ، ولكن شوقي مكثرٌ من الوصف الخيالي الذي يُسبِغُ على الآثار البـاقية ذكرياتٍ خالية ، فهو في ذلك أشبه بالبحتري منه بابن الروميّ . ثم انه في وصفه الحسي « مثاليٌّ » لا « واقعيّ » ثم هو يتأثر بالشعراء العباسيين الذي بنوا اوصافهم على التشابيه والاستعارات والكنايات ، قال وهو يدخل دمشق (ديوان ٢ : ١٢٣) :

جرى وصفّق يافانا بها بَرَدى كما تَلَقّاكَ دون الخُلدِ رِضوانُ[١]

---

١ – بردى ، نهر دمشق . الخلد ، الجنة . رضوان ، خازن الجنة .

دخلتُها وحواشيها زُمُرُدَةٌ والشمس فوق لُجَيْنِ الماء عِقْيان [١]
والحَوْرُ في دُمُرٍ او حولَ هامتها حُورٌ كواشف عن ساق وولدان [٢]

وهذا الوصف قليل عند شوقي ، حتى ان الذين تكلموا عليه تعثروا حين ارادوا الاكثار من الامثلة . ويقرب من هذا وصف الخمر مثلاً (٢ : ٨ ، ٩٢)

حف كأسها الحَبَبُ فهي فضة ذهبُ

ومثل ذلك قوله في الخمر ايضاً :

ضَحِكَتْ اليَّ من السرور ، ولم تزل بنتُ الكروم كريمةَ الأعراقِ [٣]
هات اسقنيها غيرَ ذات عواقب حتى نُراعَ لصيحة الصَفَّاق [٤]
صِرْفًا مُسَلَّطَةَ الشُعاع كأنما من وَجْنَتَيكَ تُدارُ والأحداق ،
حمراء او صفراء ان كريمها كالغيد ، كلٌّ مليحةٍ بمذاق 1
لا تَسْقِني إلاّ دِهاقًا إنني أُسْقَى بكأس للهموم دِهاق .
فلعلَّ سُلطانَ المدامة مُخرجي من عالمٍ لم يحو غير نِفاق 1

---

١ – يقول ، دخلت دمشق « في الربيع » واطرافها خضر كالزمرد بالنبات ، بينما ضوء الشمس ينعكس كالعقيق الاحمر عن الماء الصافي الذي يشبه الفضة .

٢ – الحور « بفتح الحاء » شجر طويل خشبه ابيض . دمر والهامة متنزهان عند مدخل دمشق في غوطها . الحور ، فتيات جميلات . – يشبه شوقي شجر الحور المنتصب على جانبي الطريق من مدخل دمشق بفتيات وولدان وقوف وهم رافعون اطراف اثوابهم عن سيقانهم .

٣ – بنت الكروم ، الخمر . كريمة الاعراق ، كريمة الاصل .

٤ – حتى نراع لصيحة الصفاق ، الى ان يصيح الديك فتنتبه فجأة الى اننا سهرنا « نشرب الخمر » طول الليل من غير ان نشعر .

ان اجادة شوقي لوصف الخمر محدودة في نطاق عبقريته العامة ، وليس له في الخمر براعة خاصة بعد ان حاز ابو نواس زعامة هذا الفن .

اما الوصف الخيالي فشوقي بارع فيه وخصوصا فيما يتناول الناحية القومية في تاريخها المتطاول بلونيها الزاهي والكاسف . قال شوقي يصف خروج العرب من الاندلس (٢ : ٦٠) :

آخر العهد بالجزيرة كانت ... بعد عرك من الزمان وضرس [١]
فتراها تقول : رايةُ جيش ... باد بالامس بين أسر وحس [٢]
ومفاتيحُها مقاليدُ مُلكٍ ... باعها الوارثُ المُضيع ببخس .
خرج القوم في كتائبَ صُمٍّ ... عن حفاظٍ كموكب الدفن خُرس [٣]
ركبوا بالبحار نَعْشاً وكانت ... تحت آبائهم هي العرشَ أمس .
رب بانٍ لهادمٍ ، وجُموعٍ ... لمضيع ، ومحسنٍ لمُخس .

والتحليل النفسي — كما نعرفه عن ابن الرومي — نادر عند شوقي لان عبقرية شوقي الصق بالتراث المفعم وبالمعاني المشهورة منها بتحليل الصورة المجردة والوقوف على خبايا الانفس — وشوقي شاعر اجتماعي في الدرجة الاولى — على ان له شيئاً من التحليل مستجاداً (ديوان ٢ : ١٨٧ — ١٨٨) :

وأغنَّ أكحلَ من مَها بكُفَيَّةٍ [٤] ... عَلِقَتْ مَحاجِرُهُ دمي وعَلِقْتُهُ .
دخل الكنيسة فارتقبت فلم يُطِلْ ... فأتيتُ دونَ طريقه فزحمته .

---

١ — ضرس ، اشتداد .
٢ — الحس ، القتل .
٣ فضلوا ان يجلوا عن ديارهم على ان يقاتلوا محافظة على ديارهم ؟
٤ — بكفيا ، بلد من بلدان الاصطياف في لبنان .

فَازورَّ غَضْبانًا وأعرضَ نافراً ، حالٌ من الغيد الحسان عَرَفْتُه .
فَصَرفتُ تأمِلي إلى أترابه وزعمْتُهنَّ لُبانتي فأغرْتُه .
فَمشى إليَّ ، وليس أوَّلَ جُؤذَر وقعت عليه حبائلي فقنصته .
قد جاء من سحر الجفون فصادني وأتيت من سحر البيان فصُدْتُه .
لما ظفِرت به على حرم الهدى لابن البتول وللصلاة وهبته .

٦ - صورة الادب والحكمة

يريد بعضهم ان يرى في شعر شوقي فلسفة (ص ٣٦٢)، ويحاول الدكتور منصور فهمي (ص ٤٩٤-٥٠٢) اكراه الفلسفة على الظهور في ديوان شاعرنا . وكل ما في الامر ان شوقي نثر بعض الآراء « الاجتماعية » الصائبة هنا وهنالك من ديوانه . فحكمته من هذا القبيل اشبه بما ورد عند بشار وابي نواس وابن الرومي، واقل شبهاً بما رأينا عند ابي تمام، والمتنبي وبعيدة جداً عما عرفنا في لزوميات المعري ، وليس لها صلة بمقاييس الفلسفة الصحيحة عند ارسطو وابن رشد . فمن نظرات شوقي الاجتماعية (ديوان ١ :٤) وحكمه الجميلة (ديوان١ :٢٢١-٢٢٢):

* إنْ مَلكتَ النفوسَ فأبغِ رِضاها ، فلها ثورَةٌ وفيها مَضاء .
يَسكُنُ الوحشُ للوثوبِ مِنَ الأسـ ـر ، فكيفَ الخلائقُ العُقلاء ؟

*

يا طبرُ والامثالُ تُضـ . ـربُ لِلَّبيبِ الامثلِ ،
دنياكَ مِنْ عاداتها ألا تكونَ لأعزل ،
أو للغبيِّ - وان تعلـ . ـلَ بالزمانِ الأول .

جُعِلَتْ لحرّ يُبْتَلى في ذي الحياة ويَبتلي .

بقي هنالك خطرات في الاخلاق — وقد مر الكلام عليها — وفي الدين والنفس والحكومة والشورى والاستبداد مبثوثة في الديوان والروايات لا تؤلف نظاماً فلسفياً ولا أراد شوقي ان يجعل منها نظاماً. ثم ان شوقي كان في كل ذلك معتدلا في ايرادها وفي التعبير عنها مائلاً الى المحافظة على ما ألفته البيئة الاجتماعية الدينية في الاكثر . من ذلك كله قوله في اختلاف بعض الفقهاء في الاسراء والمعراج (ديوان ١ : ٢٦):

يتَساءلون ، وأنتَ أطهرُ هَيكَلٍ : بالروحِ أمْ بالهيكل الإسراء ؟
بهما سَرَيتَ مُطَهَّرَيْنِ كلاهما نورٌ ورَيْحانِيَّةٌ وبَهاء .

نثره

مقدمات قصائده – كتاب اسواق الذهب – رواية اميرة الاندلس

يقول شوقي في مقدمة الطبعة الاولى من الشوقيات [1] .

« بَقيَ استدراكٌ لا بُدّ من إيراده ، وذلك أن بعضهم يستنتج من كون الناثر لا ينظم ان الشاعر لا ينثر كذلك ، ولا ينبغي له ، وهذا وَهْم » .

يريد شوقي ان يخبرنا بذلك انه قادر على النثر كما هو قادر على الشعر . وهو يعتقد فوق ذلك ان الشاعر اقدر على النثر من الناثر على الشعر .

*

عرفنا نثر شوقي في مقدمة الطبعة الاولى من ديوانه (١٨٩٨م)، وفي مقدمات عدد من قصائده [2] ، وفي كتاب اسواق الذهب (١٩٣٢م) ، وفي رواية اميرة الاندلس (١٩٣٢م) . وخصائص نثره في هذه الآثار كلها واحدة في أساسها ، وان كانت في «اسواق الذهب» اشدّ تكلّفاً وفي «اميرة الاندلس» أجرى على السجية.

شوقي مترسل في نثره يتأنق في اختيار الفاظه ويوازن بين تراكيبه وجمله . وهو يتطلب الصناعة المعنوية اكثر من الصناعة اللفظية . ثم هو يجيد التسجيع ويصيب اماكنه . وعلى نثر شوقي عموماً ديباجة من شعر حتى ان الوزن ليسبق الى نثره احياناً . ونثر شوقي قليل جداً ، وليس فيه سوى مظهر لبراعته البيانية وصناعته الفنية : انه لم يجعل نثره ميداناً لثقافته الواسعة كما جعل شعره ميداناً لها .

أ - فمن نماذج نثره في اسواق الذهب [3] مثلاً :

« الشبابُ أيامُ آذار ، ودَوْلَةَ العِذار [4] ، وأَعِنَّةُ [5] الاوطار وليلةُ

---

١ – الشوقيات « ١٨٩٨ م » ، ص ١٠ .

٢ – الشوقيات ٢ ، ٥٢ – ٥٤ ، ٧٥ – ٧٦ ، ٧٦ – ٧٢ .

٣ – ص ٤٩ – ٥٠ .

٤و٥ – العذار ، الشعر الذي ينبت على صفحة الخد في اول الشباب كناية عن المرح والنشاط.

في هذه الدار ... أروع الشهرة ما طار في سمائه ، وأمتع الصيت ما سار تحت لوائه ، وأحسن الثناء ما أتى في أثنائه ، ورف على قشيب شبابه ».

ب - أما في مقدمات بعض القصائد فان شوقي أقل تأنقاً وتكلفاً. قال في رحلته في الاندلس (٢ : ٥٢) « لما وضعت الحرب الشؤمى أوزارها ، وفضحها الله بين خلقه وهتك إزارها ، ورم لهم ربوع السلم وجدد مزارها أصبحت والعوادي [١] مقصرة ، والدواعي [٢] غير مقصرة . وإذا الشوق الى الأندلس [٣] أغلب ، والنفس بحق زيارته أطلب ، فتصدته من برشلونة وبينهما مسيرة يومين بالقطار المجد ، والبخار المشتد ، او بالسفن الكبرى والخارجة الى المحيط ... »

ج - ومع ان شوقي قد حاول ان يتحرر في « اميرة الاندلس » من قيود الترسل ليجري في معالجة الموضوع على السجية ، فان الصناعة المعنوية لم تفارقه ولا السجع أحياناً (ص ١٦) « كان يقول : قرطبة ... ملك جديد أضيف إلى ملك إشبيلية ، ما أصغر المضاف والمضاف إليه. أنظر ، ابن عباد ، الى العرش كيف صغر ، والى الصولجان كيف قصر ، وإلى الملك كيف اختصر . وتأمل مكان الحكم في قرطبة كيف شد اليوم بالمعتمد ، ومجلس الناصر كيف شغل بابن عباد » .

---

١ - العادية جمع عنان ، اللجام . وشوقي لا يستعملها هنا على انها لكبح الاوطار بل يستعملها لانها مجاز مرسل لتدل على « الخيل » ، بمعنى الوسائل الى الاوطار .

٢ - العوادي جمع عادية : الحوادث ، المصائب .

٣ - الدواعي جمع داعية : ما يدعو الانسان ، اسباب ، شوق .

٤ - الاندلس : جنوبي اسبانية .

رواياته

في الشعر والنثر

(راجع تحدر الادب التمثيلي الى شوقي في الكلمة الاولى)

ترجع فكرة التأليف المسرحي عند شوقي الى ايام دراسته في فرنسا. ولا شك في ان عدداً من رواياته مثل «علي بك الكبير» و«مصرع كليوباترا» تعود بفكرتها وببعض اقسامها الى ذلك العهد. ويظهر ان بعضها الآخر مثل «مجنون ليلى» و«أميرة الاندلس» حديثة العهد. ولعل «عنترة» و«قمبيز» أحدثها عهداً بالوضع او بالتنقيح الاساسي، ذلك لان شوقي ادخل على هاتين الروايتين خاصة عدداً من الاصلاحات الفنية من ناحية التمثيل — كقلة عدد الفصول وكثرة المشاهد والمناظر. ثم انه جعل مدى الحوار اقصر وتقيد بمقتضيات المسرح من حيث سياقة المعنى ومن حيث الملائمة بين النظم وبين الحوار المسرحي.

لقد كان شوقي في رواياته الاولى (مصرع كليوباترا ومجنون ليلى) اميل الى فكرة «القصيدة» فكان شاعراً فيها اكثر منه روائياً. اما بعد ذلك فقد اخذ يرجع شيئاً فشيئاً الى المقتضيات الفنية للتمثيل.

وهاك ملخصاً موجزاً لروايات شوقي التي صدرت بين عام ١٩٢٩ وعام ١٩٣٢ لأنها هي التي زادت في قيمة شوقي وفي شهرته:

١ — مصرع كليوباترا — مأساة — ١٩٢٩

استطاعت كليوباترا — آخر اباطرة البطالسة على عرش مصر — ان تأسر بجمالها القائد الروماني انطونيوس فيخون وطنه ويحارب تحت لوائها اكتافيوس قيصر في موقعة اكتيوم البحرية (غربي اليونان) عام ٣١ ق.م وفي معركة الاسكندرية البرية (٣٠ق.م) ولكنه هزم. ويزعمون لانطونيوس ان كليوباترا ماتت فينتحر.

حينئذ تحاول كليوباترا ان تقنص اكتافيوس بشباكها فلا تنجح . ويتصل بها نبأ الانهزام وانتحار انطونيوس ، ويعز عليها ان يحملها اكتافيوس الى رومية اسيرة - على عادة الرومان آنذاك - فتنتحر فعلاً بلدغة ثعبان .

(هدف شوقي) - يرمي شوقي من رواية كليوباترا الى اظهار عظمة مصر على رومية ثم عظمة كليوباترا ومقدرتها السياسية مع اخلاصها لمصر (ص١٥-١٦) :

كنت في مركبي وبين جنودي ... أَزِنُ الحربَ والأُمور بفكري .
قلت روما تَصَدَّعتْ فتري شط ... راً من القوم في عداوة شطر .
بَطَلاها تقاسما الفلك والجيـ ... ـشَ وشباً الوغى ببحر وبر .
فتأمَّلتُ حالتيَّ مَلِيـاً ... وتَدَبَّرتُ أمرَ صحوي وسُكري .
وتَبَيَّنْتُ أنْ روما إذا زا ... لت عن البحر لم يَسُدْ فيه غيري .
كنت في عاصف، سَلَلْتُ شراعي ... منه فانْسَلَّت البوارجُ إثري .
خلَصتْ من رحى القتال ومما ... يَلحَقُ السُّفْنَ من دمار وأسر .
ونَسِيتُ الهوى ونُصْرَةَ أنطونيو ... سَ حتى غَدَرْتُهُ شر غدر ،
والذي ضيَّع العروش وضحَّى ... في سبيلي بألفِ قُطْرٍ وقُطر .
مَوْقِفٌ يُعْجِبُ العُلى ، كنتُ فيه ... بنتَ مِصرٍ وكنتُ ملكةَ مِصر .

والهدف الثاني انه احب ان « يبرر » موقف كليوباترا في عشقها ، وأنها استخدمته في سبيل مصر (ص ٩٤، ١٠٢) :

*يقولون: «أنسى أفنَتِ العُمْرَ بالهوى ... بَهِيمِيَّةُ اللَّذَّاتِ والشهوات ! »
كَلِفتُ بكَهْل أحرزَ الارض سَيْفُهُ ... وحَيَّزَتْ له الدنيا من الجَنَبات .

ولم تنسَ ان تنشد وهي تموت :

أموتُ كما حييتُ لعرش مصر وأبذلُ دونه عرش الجمال.

وفي الختام يقول شوقي على لسان انوبيس (الكاهن الاكبر) يخاطب الرومان:

قَسَماً ما فتحتموا مِصر لكنْ قد فتحتم بها لرومةَ قبرا

٢ ــ مجنون ليلى ــ مأساة ١٩٣١

قصة مجنون ليلى مشهورة : نشأ قيس وابنة عمه ليلى في بني عامر يرعيان الانعام معاً فاحبها قيس حباً خرج به الى الجنون فتغزل بها واكثر ، واحبته ليلى حباً كتمته . وكانت « عادة البادية » ان تمنع زواج الرجل بالتي تغزل بها جهراً . ثم ان اهل ليلى زوجوها برجل من ثقيف اسمه ورد فجن جنون قيس وزار ليلى بعد زواجها هذا وأنبها وتحدى زوجها. وكانت ليلى لا تزال عند زوجها بكراً ولكنها مرضت مرضاً انتهى بها الى الموت . وفي يوم من الايام كان قيس آتياً لزيارة ليلى ففوجىء بخبر موتها . فزار قبرها وتوفي عنده .

(هدف شوقي) ــ يحاول شوقي هنا تصوير البدو في صدر الاسلام مع الاشارة الى سياسة بني امية من الاحزاب ، فيحسن الدفاع عن سياسة بني امية الدنيوية ويكبر موقف العلويين وحكمتهم في هذا العاصف السياسي ويجلو خُلُق الحرائر من النساء . والرواية عاطفية تغلب الناحية الادبية فيها على الناحية المسرحية .

٣ ــ قمبيز ــ مأساة ــ ١٩٣١

قمبيز ــ ملك فارس ــ يخطب نفريت ابنة فرعونَ امازيس ولكن نفريت واباها امازيس يأبيان ذلك ويدافعان وفد الخطبة بالتي هي احسن . واخيراً تقترح نقيتاس (ابنة فرعون ابرياس المقتول) ان تزف الى قمبيز باسم نفريت . ويتصل خبر ذلك بقمبيز بعد الزفاف وفي فارس على يد فانيس (وهو قائد من

اليونانيين الذين اكثر فرعون امازيس من اصطناعهم واغدق عليهم الهبات ليحارب بهم – فيما زعم – الفرس). فيغضب قمبيز ويعزم على الانتقام لنفسه بغزو مصر . وفي هذه الاثناء يموت فرعون امازيس ويخلفه ابنه بسامتيك الثالث ويقع الغزو الفارسي لمصر والتغلب عليها (٥٢٥ ق.م). ويُظهر الفاتح في اول امره تسامحا ثم يشك في محافظة بسامتيك على العهد فيتهدده ويسجنه وينقلب يخرب المدن والقرى ويقتل الرجال والقواد ومنهم فانيس . ويثور غضبه مرة – وكان يصاب بالصرع – فيقتل العجل ابيس (معبود المصريين) ثم ينتحر .

(هدف شوقي) – تصوير القرن السادس ق. م في مصر من عسف الفرس واحتمال المصريين هذا العسف جهراً وسعيهم سراً للتخلص منه بضروب من الوطنية الصحيحة والعزة القومية. ثم هنالك رجال الدولة والجيش من اليونان الذين يتمتعون بخيرات مصر ويكيدون لها ومنهم فانيس اليوناني القائد ... تقول الملكة فيه (ص ٧٠) :

فانيسُ لا أجهلُه ... ليس لمصر بالوَلي .
عدوُّ قومي وبلادي ، ... كيف يُصفي الوُدَّ لي؟

وفي حالة الجيش عموماً (ص ٨٦)

حُشِر اليونانُ في رايته ... وتراغى الزِّنجُ وأندسَّ العبيد. [١]
وغدا كل طَريد لم يجد ... سبب الرزق أتى الجيش يصيد

حتى اصبح فرعون نفسه غريبا في مصر (ص ٤١) :

تأمَّلِ القصرَ منا ، ... وانظرْه أرضاً وسما .
انظرْ ترَ الإغريقَ فيه ... هم لفيفَ العظَما !

---

١ – تراغى : تصايح ، ضج . الزنج : السودان . العبيد : الارقاء .

ولقد اصبح فرعون نفسه لا سلطة له ، بل كانت السلطة لـــلاجانب ::

تأملِ القصرَ خوفو ، أفيـه مِصر شيءٌ ؟
أليسَ فِرعونُ فيه كأنـه أجنبيٌ ؟

٤ ــ عنترة ــ ١٣٥١ هـ ــ ١٩٣٢م

« عنترة بن شداد » شاعر بطل نشأ هو وابنة عمه عبلة بنت مالك في بادية نجد فاحبها لجمالها واحبته لشعره وشجاعته وشهامته ، ثم اراد ان يتزوجها . ولم يشأ مالك ان يزوج عنترة بعبلة لان عنترة « عبد » ، ولم يستطع ان يصده لانه فارس تحتاج اليه القبيلة . ولذلك كان يدافعه متعللا ، ويشتط في طلب « الصداق او المهر » ويرفض احيانا (ص ٢د) :

مالك : ما ذاك ؟

الضيف : ... ان الناس قد تحدثوا أنك لن ترضى بغير عنتره !

مالك : صِهراً ؟

الضيف : ... أجل

مالك : ... من قال ؟ ذاك كذبٌ أيطمع الاسودُ ان أصاهره ؟

أما عبلة نفسها فانها كانت تحب عنترة وتتشوق اليها في اوقات عملها وفراغها :

مـا لي تملّكَ مهجتي عبدٌ على عبسٍ امير !
لو يجمعُ العربُ السريرُ جاءه يسعى السرير [1]
كالليل ، إلا أنه في عيني القمرُ المنير

(١) لو اجمع العرب على رجل واحد يملك امرهم لاجمعوا على عنترة وجعلوه عليهم .

حسدتني الدنيا عليه، وكلُّ محسودٍ خطيرٌ [١]

وقد قام عنترة بغارات على اعداء عبس لتخليص عبلة نفسها او لاستنقاذ انعام العبسيين، كل هذا في سبيل نيل رضى مالك ابي عبلة. ولكن مالك كان يشترط على عنترة فيقوم عنترة بما اشترطه مالك، ولكن مالك لا يفي بشرطه لعنترة.

واخيراً خطب عبلة رجل من بني عامر اسمه صخر ورضى مالك بذلك. ففي يوم الزفاف بينما كانت الظعائن سائرة طلع عليها عنترة وأخذ عبلة ووضع مكانها فتاة عبسية كانت تحب صخراً، وساعدت عبلة عنترة على ذلك. واخيراً يصل عنترة الى حي بني عامر ومعه عبلة وناجية فيعرض عنترة على صخر الزواج بفتاة تحبه هي « ناجية ». فيقبل صخر نزولا على رأي بني عامر الذين نزلوا على رأي عنترة. ثم يتزوج عنترة عبلة.

(هدف شوقي) — اولا تصوير الحياة الجاهلية قبيل الاسلام، وهي تقوم على الحركة الفكرية التي ارادت توحيد كلمة العرب. وشوقي صائب النظر في ذلك بادلة منها قول عنترة نفسه في المعلقة (عن ناقته) :

شربت بماء الدحرضين فأصبحت زواء تنفر عن حياض الديلم.

وثانيهما اتحاد العرب فعلا على الفرس في معركة ذي قار وكان فيها عنترة ايضاً. فلما بلغ الرسولَ صلى الله عليه وسلم خبرُ الانتصار قال: « هذا اول يوم اخذت فيه العرب من العجم بحق ». وثالثها، في الزمن لا في مقام الترتيب، القرآن الكريم وما فيه من الدعوة الى توحيد كلمة العرب. ورابعها دعوة الرسول نفسها التي تمثلت في الفتوح الاسلامية، فان الرسول ازال الشقاق من بين العرب وجعلهم يداً واحدة على اعدائهم ففتحوا العالم.

تلك كانت، قبل ان يجيء الاسلام، أمنية العرب. ولقد اجراها شوقي على لسان عبلة لا على لسان عنترة ... لقيت عبلة عجوزاً قد فقدت ابنها في غارة

---

١ — يقصد: محسود عليه (اي عنترة) لا محسود فقط (عبلة).

فجرى بينهما الحوار التالي :

العجوز : ثكلت على الدرب خير البنين

وفاجأني في الطريق الهبل [١]

وكنا نُيَمِّمُ أرض العراق لنجتازها

عبلة . . . . . نحو كسرى ؟

العجوز : . . . . . أجل !

وهنا تنفعل عبلة ويبدو فيها الغضب ثم تندفع تؤنب العجوز وتصف حال العرب من الذلة والخضوع للروم والفرس :

لتعطوا الرِّشا وتنالوا المُنى ويمنحُ سرحانُ بعض العمل [٢]

ويحكم في البيد بأسم الهمام وتحت ظبى فارس والاسل [٣]

ذليل بباب انوشروانَ وعِند الخيام العزيزُ البطل [٤]

الى كم تهيمون تحت النجوم وتفترقون افتراق السُبُل ؟

فنصفٌ قطاع رعتها الذئاب ونصف على البيد فوضى هَمَلْ

وليس لكم دولة في الوجود وتسحبكم كالذيول الدُّول

ألَمْ على حوضكم قيصر وكسرى على جانبيه نزل

ويحكمكم تحت نير الغريب ومهمازه الادعياءُ الدُّخَلْ

---

١ – الهبل : الثكل ، موت الابن ....

٢ – لتدفعوا رشوة لكسري فتنالوا حاجاتكم على يديه . سرحان : ابن العجوز . العمل : الولاية على بعض القبائل .

٣ – الظبى : السيوف . الاسل : الرماح . يحكمكم بسلاح الفرس ويتسمى بينكم باسم الهمام .

٤ – يتذلل عند انو شروان ويستأسد بينكم لانكم قومه .

هم الامراء وقد يرتدون بباب الاعاجم ذلَّ النَّدَلْ [١]

وهنا يهتم نفر من السامعين لحوار عبلة والعجوز ويختلفون في تأويله ، فيتحاورون ويحاورون عبلة :

احدهم لآخر : عبلة تنطق الذَّهَبْ لو كنت تعقل الخطب

الاول : وما الذي ترمي له ؟

هنا تبتدر عبلة فترد :

عبلة : أرمي لتحرير العرب .

الاول : تحريرهم ؟ مِمَّ

عبلة : من القيد !

الاول : وكيف قُيِّدوا ؟

عبلة : الفرس والروم استرقوا قومنا واستعبدوا .

٥ ـ علي بك الكبير ، او دولة المماليك ١٩٣٢

علي بك الكبير حاكم مصر (من المماليك) ويسمى ايضاً شيخ البلد ، تبنى مملوكا (محمد بك ابو الدهب) . طمع ابو الدهب بحكم مصر فجمع حوله العرب (البدو) والغز (من الترك) وتهيأ للثورة على علي بك (ص ٣٨) :

وعقَّ الذي رَبَّيْت في حِجْر نعمتي ووطَّأْتُ أكنافي له وظلالي .

تألَّفَ أصحابي وألَّبَ شيعتي عَليَّ ، وأغرى بالخروج رجالي .

ولما قوي امر ابي الدهب فر علي بك من مصر الى ضاهر العمر — وهو امير

---

١ — الندل : الندل : الخادم .

بدوي رأى ضعف الدولة العثمانية فبسط نفوذه على شمالي فلسطين واستولى على عكاء — وقد ساعد ضاهر العمر علي بك فظفر علي بك في اول المعركة (ص٩٩). ثم جرح علي بك وانهزم جيشه وحمل هو وضاهر اسيرين الى مصر .

ونعود قليلا في الزمن لنرى مصطفى اليسرجي ، وهو « جلاب » جركسي يأتي بابناء قومه من مسقط رأسهم ليبيعهم في مصر . وقد اتفق انه باع ابنه (مراد) وابنته (آمال) من غير ان يعلم احدهما بخبر الآخر . فاصبح مراد في قواد علي بك ، واصبحت آمال زوجة لعلي بك نفسه — وهو يجهل ايضاً الصلة بينهما — . ثم ان ميلاً نشأ بين مراد وآمال كاد يفضي بهما الى الزواج .

ولما قوى امر ابي الدهب انضم مراد اليه . اما مصطفى اليسرجي (والد مراد) فقد ظل مع علي بك . وفي المعركة الاخيرة يجرح مراد مصطفى فيتحامل مصطفى ويعرض لمراد ليخبره بحقيقة الصلة بينه وبين آمال .

وقبل ان يموت علي بك (من جرحه) يعلم بصلة مراد بآمال (وكان من قبل يتهمهما بخيانته معا) ويعلم ذلك محمد ابو الدهب ايضا . يسر ابو الدهب بذلك ويهب الاخوين قصراً ومالا يعيشان بهما عيشا هانئا .

(هدف شوقي) يريد شوقي في الدرجة الاولى ان يصور الحياة الاجتماعية في مصر في القرن الثامن عشر (ايام المماليك) وما فيه من شيوع الاتجار بالرقيق . ثم يريد ان يعلمنا ان الوطني الصادق لا ينتصر على ابن وطنه بعدوهما ، لما عرض قائد الاسطول الروسي على علي بك ان يترك الاستنجاد بضاهر العمر (ص ٨٢) :

سَيِّدي ، أَلقِ ضاهراً وتقلَّدْ نَجْدة القيصرِ العظيم الشان .
لا تَرُمَنَّ بالعصا ملكَ مِصْرٍ وأَطِبِ المُلكَ بالحسام اليمان
كيف تَبْغي سريرَ مصرَ بشيخٍ بدويٍّ بصارمٍ وحِصَان ؟

لم يخف على علي بك المغزى وما فيه من تحريض على الخيانة ، فقال في نفسه ،

ثم خاطب القائد (ص ٨٤) :

رَبَّاه ، ماذا يقولُ المسلمونَ غداً إنْ خِنتُ قومي وأعمامي وأخوالي؟
يُقال في مشرق الدنيا ومَغْربها فعلتُ فِعْلَةَ نذلٍ وابن انذال .

واخيراً يحزم علي بك امره وتثور الحمية في نفسه ويظهرُ ما انطوى في نفسه من النبل والعصبية القومية فيقول :

أجل ، سَموتُ لُملكِ النيل أطلُبُهُ بهمتي وبإقدامي وأفعالي .
لا أستَعِين على الاهل الغريبَ ولا أرمي الذئاب على غابي وأشبالي !

ويريد شوقي في المكان الثالث ان يجمع الكلمة ، فلما دخل ظاهر العمر أسيراً على محمد بك ابي الدهب سأله ابو الدهب (ص١٠٦):

من فلسطين انتَ ظاهرُ ام من أرز لبنانَ ام لك الشامُ اصلُ ؟

(و كان ظاهر شامي الاصل — من شمالي سورية) فاجابه ظاهر :

كلُّ هذا هناك ، مولاي ، أصلٌ وَاحدٌ يَجْمَعُ الرجال وفَصْلُ .
عَرَبٌ كُلُّنا ، ومَنْطِقُنا الفُصْ حى وآباؤنا نِزار وذُهْلُ .

٦ — أميرة الاندلس (نثر) ١٣٥١ هـ ، ١٩٣٢ م

ترجع بثينة — بنت المعتمد بن عباد ملك اشبيلية (الاندلس) — من سوق الكتب في قرطبة ، وكانت قد ذهبت اليها متنكرة في زي غلام ، ولقيت فيها شاباً مغرماً بالكتب مثلها فتحادثا ، ووقع الشاب من نفسها من غير ان يتعارفا . تصل بثينة الى قصر ابيها (باشبيلية) فتجد ان سيري بن ابي بكر وزير المغرب (افريقية) يريد ان يخطبها لنفسه فترفضه لانه زوج ثلاث وستكون هي الرابعة . وكان في اشبيلية تاجر شهير اسمه ابو الحسن ساءت حاله المالية فتوافد الاغنياء

والسماسرة اليه يريدون ان يشتروا داره وما في داره من نفائس . ويتفق ان تزور بثينة (متنكرة بزي غلام اسمه ابن غصين) دار ابي الحسن فتجد هنالك الفتى التي لقيته في سوق الكتب باشبيلية ، واذا هو حسون بن ابي الحسن ، فيتحادثان ويصف حسون لها - فيما يصف - المعركة التي قتل فيه «الظاهر» (ابن المعتمد بن عباد : اخوها) فيغمى عليها وتسقط القلنسوة عن رأسها وينكشف امرها فيتعارفان ويفكران في الزواج .

في هذه الاثناء تكون حالة اشبيلية السياسية قد ساءت جداً وازداد طمع الفرنجة بابن عباد، فيستنجد ابن عباد بيوسف بن تاشفين (سلطان المغرب : افريقية) فيسرع ابن تاشفين في جنوده من البربر ويتغلب المسلمون على الفرنجة في معركة الزلاقة الشهيرة (٤٧٩ هـ ١٠٨٦ م) . الا ان ابن تاشفين يطمع بملك ابن عباد فيهجم البربر على المدينة ويحملون ابن عباد اسيراً ويسبون بناته . وتقع بثينة في سهم قائد بربري يضيق بها ذرعاً لانها مريضة نحيلة. ولكنه أخذ من اصبعها خاتماً وطاف به في اشبيلية ليبيعه فرآه ابو الحسن وعرف الخاتم فاشتراه منه وخلص بثينة واتى بها الى داره . هنا يعزم حسن وبثينه على الزواج، ولكن بثينة ترفض ان تتزوج من غير ان يعلم اهلها فينتقل الجميع الى حصن اغمات (منفى ابن عباد) ويتم الزواج .

(هدف شوقي) — يريد شوقي (١) ان يصف حالة الاندلس في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) من تخاصم الامراء المسلمين وظهور سطوة الفقهاء مع جهلهم وقصر نظرهم ، ومن طمع الافرنج بالمسلمين وملوكهم . ثم يريد (٢) ان يقول بحرية المرأة في اختيار زوجها، وان السعادة الزوجية ليست بالمال او المنصب العالي، وبحق المرأة في الكفاح في الحياة . ويجب ايضاً (٣) ان يجلو العزة القومية الاسلامية بان يجعل المعتمد بن عباد يفضل ان يرعى الجمال ليوسف بن تاشفين (ان يكون اسير امير مسلم) على ان يرعى الخنازير لملك الاسبان (يكون اسير امير مسيحي)

❀

شوقي والتأليف المسرحي

نريد هنا ان نعارض الخصائص الفنية في روايات شوقي بالمقاييس التي قبلها الباحثون المسرحيون عموماً . ولقد وجدنا ان الباحثين قبلنا نقدوا الروايات المسرحية على اربعة أسس : التأليف ، والوضع ، وامكان التمثيل ، والنظارة . فما قيمة روايات شوقي بالاضافة الى هذه الاسس الاربعة ؟

(١) التأليف (الخصائص الفنية العامة) - يغلب على روايات شوقي الاسلوب الادبي عموماً (في مجنون ليلى وكليوباتره خصوصاً) ولا شك في انها كثيرة الموافقة للقراءة الفردية او المطالعة . ويؤخذ قارىء روايات شوقي « بالشعر » اكثر مما يؤخذ بسياق الحوادث . وللصناعة المعنوية واللفظية وللآراء المفردة مكان كبير في هذه الروايات - لقد كان شوقي شاعراً ينظم روايات ، ولم يكن روائياً يضع رواياته شعراً . وقد عمد شوقي في الاقناع الى الاسلوب الخطابي في الاكثر .

فشوقي من هذه الناحية كلها لا يشبه شكسبير وموليير ، بل يشبه بعض قدماء اليونانيين ، ويشبه روائيي العصور الوسطى الذين قلدوا اليونانيين في وضع الروايات المغزى التهذيبي من غير ان يقصدوا اخراج رواياتهم على المسرح .

على انه لا مندوحة عن عد شوقي مع كبار الروائيين في هذه الناحية ، في صف سوفوكليس واوريوبيدس وكورناي وغوته . واذا كانت حسنات هؤلاء - على اعتبار اختصاصهم بالفن الروائي التمثيلي ما عدا غوته - اكثر من حسنات شوقي فان سيئاتهم ليست اقل من سيئاته .

(٢) الوضع (المعالجة الفنية للموضوع) - ليست « الرواية » حادثة حقيقية لأن الحوادث الحقيقية لا تتكرر ، وليست خيالا محضاً لان الخيال المحض لا يتحقق - « ولكن الرواية تقليد لحادثة حقيقية مع تحويرات تقتضيها طبيعة المسرح ويقتضيها التهذيب الاجتماعي » - . ولم يغب ذلك عن شوقي ، الا ان شوقي ، وان كان مغرماً بحضور الروايات التمثيلية والافلام السينمائية ، فانه لم يكن ممثلاً كشكسبير وموليير ، ولذلك جاءت رواياته أشد صلة « بالناحية الوجدانية » منها « بالناحية العملية » .

وزعم نفر ان « الحوادث » كثيرة متعددة في شعر شوقي وان بعضها لا يتصل

بموضوع الروايـــة كثيراً . ولكن الامر ليس كذلك فهنالك روايات تزدحم بالحوادث اكثر من روايات شوقي ، الا ان شوقي لم يوجه هذه الحوادث كلها نحو هدفها الحقيقي توجيهاً ظاهراً ، ولعله قصد بعض ذلك . وقال آخرون ان التنسيق المنطقي او التاريخي قليل عند شوقي ، وربما كان بعض هذا صحيحاً ، اذ يظهر ان شوقي وضع بعض رواياته في ازمنة متطاولة مختلفة ، او انه نظم بعضها اقساماً مستقلة ثم جمعها ، او انه ادخل على بعضها في المدة الاخيرة تحويراً وتنقيحاً اخرجها عن ان تكون « وحدة تأليفية » .

وقال بعضهم ان شوقي تقيد بالتاريخ كثيراً ، وقال آخرون انـــه تلاعب بالحوادث التاريخية ، وكلا هذين مردود . فالتلاعب بالحوادث التاريخية والجغرافية والعلمية وغيرها امر معروف في تاريخ التأليف المسرحي . واما التقيد الشديد بالتاريخ فراجع الى نوع الموضوع والرواية ، كأن يكون الموضوع مأخوذاً مثلا من حوادث التاريخ كما في (قمبيز) او من الروايات الشائعة (كمجنون ليلى وعنترة) .

اما « العقدة » عند شوقي فكانت قوية احياناً (مجنون ليلى ، كليوباترا ، واميرة الاندلس) مع العلم بان الروايات التي تتناول التاريخ لا يمكن ان « تنعقد » بالمفاجئات كالروايات العاطفية البحت — وحسبك ان ترى ذلك عند الروائيين الغربيين الكبار — ثم ان شوقي لم يبدع في عقد مفاجئات متوالية كما فعل شكسبير مثلا ، ولم يصل احد الى شكسبير في ذلك .

ولقد كان شوقي دائمـــاً « مهذباً » في رواياته ، صاحب مثل اعلى ، متقيداً بالاخلاق والعادات النبيلة فضيع ذلك عليه شيئاً كثيراً من حبك المشاهد العاطفية المثيرة كما نرى عند شكسبير وموليير خاصة .

(٣) الاخراج او التمثيل — (موافقة الرواية للمسرح) وهنا نعرض للشروط والعوامل التي تجعل تمثيل الرواية الموضوعة ممكناً ومعقولا معاً . واول ما نعرض له « الوحدات الثلاث » :

حينما نظر الفيلسوف اليوناني ارسطوطاليس الى الروايات التمثيلية التي سبقت عهده او عاصرته استخرج منها ثلاثة قوانين : وحدة الزمان ووحدة المكان ،

ووحدة الموضوع . ويجب ان نقول هنا ان ارسطو لم يضع هذه القوانين ليفرضها على المؤلفين الذين سيأتون من بعده ، وانما وجد ان « الوحدات الثلاث » غالبة على الروايات التي الفت من قبله. وهنا يجب ايضاً ان نشير الى ان هذه الوحدات كانت ذات صلة قوية بالمسرح اليوناني وبالبيئة اليونانية وبتثقيف اليونانيين .

١ — وحدة الزمان = وقصدوا بذلك ان تتم حوادث الرواية في نحو يوم واحد (اربع وعشرين ساعة) ولكن هذا قد يستحيل احياناً ، ولذلك لجأ اليونانيون الى « الافتراضات المسرحية » كأن يجعلوا الملك مثلا ينتقل من طروادة في آسية الصغرى الى اثينة في بلاد اليونان في بضع دقائق ، او ان يلجأوا الى معونة « الآلهة » في حل الازمات التي لا تحل على يد البشر في زمن قصير . ومع ذلك فقد شذ بعض المؤلفين المسرحيين — قبل ارسطو — عن هذه القاعدة . وارسطو نفسه لم ير ان تفرض وحدة الزمن على الروائيين .

ب — وحدة المكان = ورأوا ان تقتصر الرواية على مكان واحد — لا لشيء — بل لأن « المسرح اليوناني كان ينصب بالعراء » اي في الهواء الطلق ، وكان تبديل الممثلين ونقلهم من مكان الى آخر وتهيأة المسرح على اشكال مختلفة ، كلها غير متيسرة.

ج — وحدة الموضوع = وذلك ان تتألف الرواية من « سلسلة حوادث » يتصل بعضها ببعض اتصالا يبرره سياق الرواية في اتجاهها نحو « حل العقدة » . وهذا امر لا يتعلق باليونان وحدهم ، وانما هو متعلق بطبيعة الرواية التمثيلية نفسها .

على اننا لو راجعنا تاريخ التأليف المسرحي لوجدنا ان الشعوب اللاتينية — الايطالية والافرنسية — احبوا ان يتقيدوا بقوانين ارسطو على انها قوانين ثابتة ، واصر الايطاليون على ذلك . اما الافرنسيون فتساهلوا في اول الامر فيها ثم عادوا الى التمسك بها . واما شكسبير فقد تحرر من قانون الزمان والمكان تماماً ثم تصرف بوحدة الموضوع ايضاً .

ولما جاء شوقي نحا نحو شكسبير ياً فلم يتقيد بوحدة المكان والزمان . والمنطق يقضي بالا يتقيد بهما . واسباب المدنية قد قصرت المسافات وجمعت الازمنة ، والحاجة قد اوجبت ان تتوزع الامور في اماكن مختلفة وأزمنة مختلفة . فاذا

اراد الروائي ان « يمثل رواية » وجب عليه ان يجمع تلك الامور من الاماكن والازمنة التي كانت تتوزع فيها . بقي ان نعلم : « هل استطاع شوقي ان يدفع جميع الحوادث التي اختارها لكل رواية من رواياته في سياق منطقي يقتضيه حل العقدة ؟ »

يقولون ان عند شوقي حوادث لا تقتضيها الرواية ضرورة ، ومثل هذا موجود عند غير شوقي ، ولكن قد يكون شكسبير (في يوليوس قيصر) ابرع في جمع الحوادث في نظام واحد لأن التأليف المسرحي كان عمل شكسبير الوحيد ، ولأن شكسبير كان ممثلا ، ولأنه كان يضع رواياته للتمثيل ، ويضع بعضها لممثلين مخصوصين . ثم انه كان يضع رواية وضعاً مستقلا .

ويقولون ان شوقي يجعل في بعض رواياته حادثتين كبريين ، وهذا نجد مثله عند شكسبير ايضاً ، فان المتآمرين اغتالوا يوليوس قيصر في المشهد الاول من الفصل الثالث ، وكنا نظن ان الرواية قد انتهت واذا بها تبدأ من جديد بدءاً اقوى واشد (في خطابي بروتوس ومارك انطونيوس) وتستمر ثلاثة فصول كاملة (٣٣ صفحة من اصل ٦٢ صفحة) ... وتنشب فيها مؤامرات وحروب .

واكبر الظن ان شوقي لم يفكر - وهو يضع كل رواية من رواياته - بالممثل الاول او بالممثلين الذين سيقومون بادوار هذه الرواية ، ولهذا تسرب بعض الضعف الى الشخصيات التي تراها عنده . ويتبع ذلك طول الفصول والمشاهد او قصرها وتعددها مما كان خاضعاً عند شوقي في الدرجة الاولى « للتأليف الادبي » اكثر منه « للتمثيل المسرحي » .

اما الخرافات والخوارق فقد رأيناها عند شوقي في (مجنون ليلى) فقط اما في الازمنة القديمة وفي العصور الوسطى فكانت على أشدها واتم سخفها . ويتبع الخرافات « المحالات » اي المشاهد التي لا يمكن اخراجها على المسرح : كقتال الجيوش وحدوث الصواعق وظهور الاشباح وما اليها . وهذه قليلة عند شوقي كثيرة عند غيره ، وقد يلجأون الى « التشبيه » فيها عند التمثيل او الى حذفها ، وفي العصر الحاضر قد يستعينون عليها بالسينما .

الرواسب = ونقصد بها الحوادث التي تبدأ في الرواية ثم تغيب فلا ندري ما حدث لها . اننا نعلم ان ضاهر العمر (في علي بك الكبير) حمل أسيراً الى مصر ولكن لا نعلم ماذا حدث له فيما بعد . ان المعروف في تاريخ المسرح ان شكسبير ابرع الروائيين في التخلص من هذه الرواسب فهو يريك نهاية جميع الاشخاص الذين ذكرهم في رواياته قبل ان يسدل الستار لآخر مرة . ولقد حاول شوقي ان يفعل ذلك في (قمبيز وعنترة) فانتقده بعضهم عليه .

(٤) النظّارة = والنظارة – عند ابي نواس والجاحظ – هم الذين يحضرون الاعراس والمجادلات والمجالس والاحاديث، وهنا هم الذين يحضرون تمثيل الروايات، اي رُوّاد المسارح .

حرص بعض الروائيين – كشكسبير وموليير على الاخص – على استرضاء النظارة بكل سبيل للاستفادة مالياً من تمثيل رواياتهم ، ولذلك ظن بعضهم ان نجاح الرواية على المسرح – بالاضافة الى النظارة – عنصر من عناصر قوتها الفنية، ولكن بعض النقاد لم يروا ذلك . وهنالك مؤلفون وضعوا روايات تمثيلية مستقلة تمام الاستقلال عن المسرح : وضعوها ليقرأها الناس لا ليمثلها الممثلون . ثم ان خيبة التمثيل قد لا تعني شيئاً ، فان رواية « فدر » لراسين خابت على المسرح (لاسباب غير فنية) مع ان اسلوبها بارع رائع .

ليس شوقي – وليس من رجل في هذا العالم – اكبر من ان يتناوله النقد على صورة من الصور وفي سبيل من السبل . ولكن يجب علينا ان ننصف في النقد ونعلم انهم ينتقدون شوقي الذي وضع روايات شرقية ليقرأها الشرقيون انفسهم ويتهذبون بها ، او ليشهدوا تمثيلها في بيئتهم التي نشأوا فيها وهم يستعينون على فهمها بتاريخهم الذي تغذوا بحوادثه وينظرون الى مغزاها من خـــلال ثقافتهم الاجتماعية والشخصية وتربيتهم التاريخية ... انهم ينتقدونه بقوانين خُلقت لبيئة يونانية او افرنسية او انكليزية ثم يزعمون ان شوقي مقصر عن اقرانه

ان ثمّت فارقاً بين شوقي وبين سوفوكليس وشكسبير وموليير كما ان هنالك فارقاً بين القطب وبين خط الاستواء او بين السهل والجبل او بين اللغة واللغة . ولكن الفارق وحده لا يجعل احد المفترقين ادنى من الآخر ضرورة ولا ارفع منه لزاماً .

(تم)

الفهرست

الكلمة الاولى ٢

مصادر ومراجع ٣

١ ـ موجز ترجمته ٥

٢ ـ عناصر شخصيته ٨

٣ ـ خصائصه الفنية ١١

٤ ـ فنون شوقي ٢٠

شعره : ٢٠

الصورة الدينية ٢١

الصورة القومية الوطنية ٢٥

الصورة السياسية والحربية ٢٧

صورة المرأة والتربية ٢٩

الصورة المطلقة ٤١

صورة الادب والحكمة ٤٤

نثره ٤٦

رواياته ٤٨

مصرع كليوباترا ٤٨

مجنون ليلى ٥٠

قمبيز ٥٠

عنترة ٥٢

علي بك الكبير ٥٥

اميرة الاندلس ٥٧

شوقي والتأليف المسرحي ٥٩

IN ARABIC

AHMAD SHAWQI

The Arab Poet Laureate of Modern Times

BY

Dr. PHIL. OMAR A. FARRUKH

Member of the Arab Academy, Damascus;

Member of the Islamic Research Association, Bombay

SECOND EDITION

BEIRUT 1950

مطابع الاستقلال ـ شارع المعرض ـ تلفون ٩٠-١٦

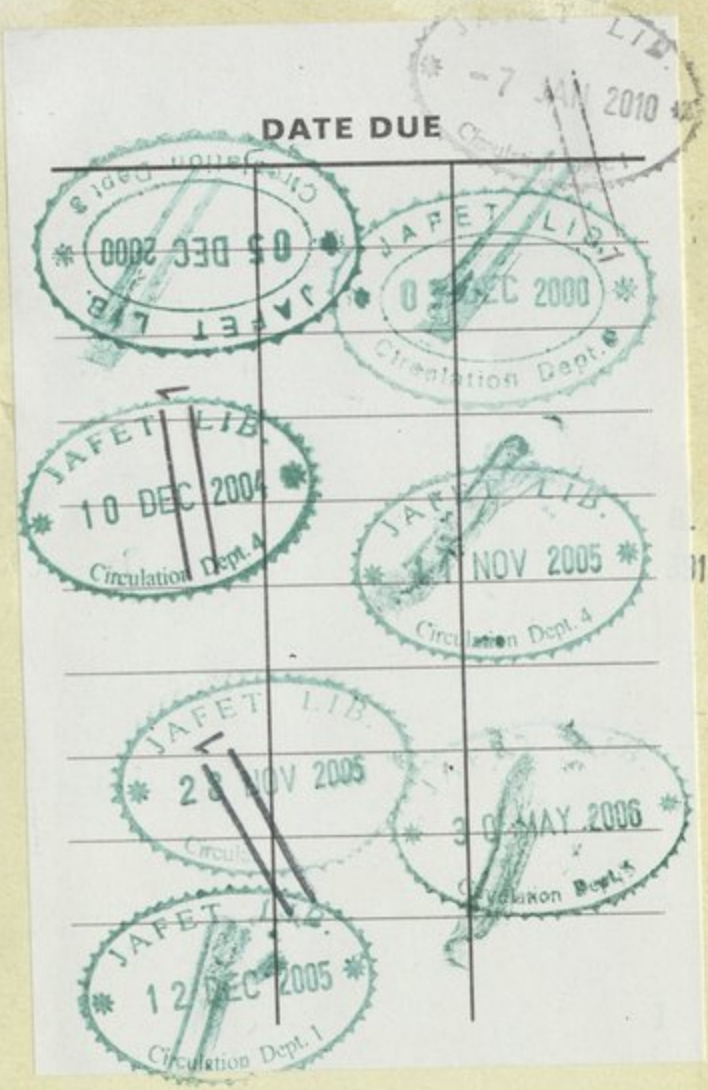
DATE DUE
JAFET LIB.
05 DEC 2000
Circulation Dept.
JAFET LIB.
07 DEC 2000
Circulation Dept.
JAFET LIB.
10 DEC 2004
Circulation Dept. 4
JAFET LIB.
NOV 2005
Circulation Dept. 4
JAFET LIB.
NOV 2005
JAFET LIB.
12 DEC 2005
Circulation Dept. 1

فروخ ،عمر
احمد شوقى: امير الشعراء فى العصر ا
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01042380

892.78
Sh5985Yfa A
c.1